نور المهتدين
في ظلمة الغافلين

يتناول الأوقات المغفول عنها في اليوم والليلة،
والأسبوع والشهر والعام، وما فيها من الفضائل،
بإسلوب سهل قريب، يوقظ الغافلين، ويرشد الموفقين بإذن الله

تأليف
أبي المنذر عمار بن عبد الجليل بن مزاع
الوزفي الحوباني
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه والمسلمين

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

نور المهتدين في ظلمة الغافلين

يتناول الأوقات المغفول عنها في اليوم والليلة، والأسبوع، والشهر، والعام، وما فيها من الفضائل، بإسلوب سهل قريب يوقظ الغافلين ويرشد الموقظين بإذن الله تعالى

تأليف
أبي المنذر عمار بن عبد الجليل الحوباني
غفر الله له ولوالديه

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى:

١٤٤٧ هـ ٢٠٢٥ م

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الليل والنهار خِلفةً لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكورًا، وجعل في تعاقب الأزمنة عبرة، وفي توالي الساعات نفحات، وفي غفلة الناس فرصًا لأهل الطاعة والسباق.

أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أعظم الغبن أن تمرّ ساعات العمر بغير اغتنام، وأشد الحرمان أن يغفل المرء في مواطن اليقظة، أو ينشغل بالدنيا في لحظاتٍ فُتحت فيها أبواب السماء.

وإن لله في أيام دهره لنفحات، من تعرّض لها أصابته الرحمة، ومن أعرض عنها حُرم، كما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَلُوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ، وَأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ»(١)

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٧٢٠) وحسنه الإمام الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٤/ ٥١١).

وإن من دقائق الفقه في السير إلى الله: معرفة أوقات الغفلة، فإنها مظانّ الاصطفاء، ومنابر الارتقاء.

وإذا كان أهل الدنيا يتسابقون إلى الفرص الدنيوية حين يغفل الناس عنها، فكيف بأهل الآخرة، وهم أولى بالحرص على الفرص الربانية التي يغفل عنها الأكثرون؟

قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥].

أيها القارئ المبارك:

ليست الغفلة عيبًا محضًا، فإنها من طبيعة البشر.

وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥].

لكن العيب كل العيب أن يسترسل العبد في غفلته، ولا ينتبه إلى ما فاته من الخيرات، أو لا يعرف مواطن الغفلة التي يُختبر فيها صدق العبد ومحبته لربه.

وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»(١)

وما ذاك إلا لأن الناس حينها منشغلون مضطربون، فلا يخطر ببال أكثرهم أن ينقطع لعبادة، فصار من عبد الله في ذلك الوقت بمنزلة من هاجر

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٨).

إليه.

وإنك إذا نظرت في أحوال السلف، وجدت أنهم كانوا أحرص الناس على اقتناص لحظات الغفلة

ولما رأيت أن هذا الباب عظيم، وأن الأوقات التي يغفل فيها الناس عن ربهم كثيرة، أحببت أن أجمع ما أمكنني في هذا البحث، لا على سبيل الاستقصاء التام، ولكن على سبيل التذكير والتنبيه، لعل الله أن ينفع به كاتبه وكل من يطالعه، فيكون سببًا ليقظة قلب، أو تنبيه غافل، أو بعث همة عند ضعيف متوانٍ.

وإني منذ زمن وأنا أحدّث نفسي بالكتابة في هذا الموضوع، وكلما مررت بوقت من الأوقات التي يغفل فيها الناس عن العبادة كنت أسجله وأجمعه، حتى اجتمع عندي شيء يصلح أن يكون نواةً لبحث مستقل.

ومع طول النظر لم أقف على من سبق إلى جمع هذه الأوقات على وجه خاص، مع أن الحاجة إليها شديدة، والناس بأمسّ ما يكونون إلى من يذكّرهم بها وينبّههم عليها.

فكان هذا باعثي إلى أن أمضي في جمعها وتحريرها، رجاء أن أسدّ ثغرةً، وأفتح بابًا في التنبيه على فضل هذه المواطن، لعلّ الله أن يجعل فيها نفعًا وبركة.

وقد وجدتُ أن أصل هذا الباب ثابت في السنة، ففي حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ

مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟

قَالَ: «ذَلِكَ شَهْرٌ يُغْفَلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبَ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»(١).

فهذا الحديث أصل في الباب الذي نحن بصدده، إذ بيّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن هناك أوقاتًا يغفل عنها الناس، وأن العبادة فيها أحبّ وأفضل، لأنها عبادة في زمن غفلة.

ومن هنا عزمتُ أن أستقصي - بقدر ما يفتح الله - جملة من تلك الأوقات، تنبيهًا للغافلين، وتشجيعًا للمجتهدين، وتذكيرًا للمتقاعسين، مع علمي أن بعض الناس قد يحافظ على كثير منها، لكن المقصود بيان أن الأصل، عدم ذلك فأرجو أن يكون هذا البحث جامعًا لبيان فضل العبادة زمن الغفلة.

وقد جعلت هذا البحث بعنوان: «**نور المهتدين في ظلمة الغافلين**»(٢)،

---

(١) رواه النسائي (٢٣٥٧)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٤/ ٥٢٢).

(٢) لقد كان العنوان الأول للكتاب: «سراج المهتدين في ظلمة الغافلين»، إذ قصدتُ به أن يكون مرشدًا ومضيئًا في أزمنة الغفلة. ثم كان لوالدي الحبيب - متّعه الله بالصحة والعافية - رأيٌ أنسب وأقرب إلى معنى الكتاب، وهو: «نور المهتدين». فجمعتُ بين الإشارتين، واخترتُ أن يكون العنوان: «نور المهتدين في ظلمة الغافلين».

وهو مستوحى من قول الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فما أعظم التوفيق في هذا الجمع! إذ الغفلة موت وظلمة، واليقظة عبادة وحياة،

ولا أدّعي أني أحطت فيه بكل ما ينبغي، ولا أني بلغت الغاية في هذا الباب؛ فإن العلم أوسع، والزمان أقصر، وما جمعته إنما هو غيض من فيض، ونزر يسير مما يحتاج إلى عمر مديد.

لكن حسبي أني قد اجتهدت في جمع ما تيسر من نصوص الوحيين، وصغته بأسلوب ميسّر قريب، عسى بغير كبير نقل من كتب الشروح رجاء الاختصار وعسى أن ينتفع به قارئ أو سامع، فيكون لنا بذلك أجر التذكير والدلالة على الخير.

فإن وُفّقت للحق، فذلك من فضل الله وتوفيقه، وإن قصّرت فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به من قرأه أو سمعه، وأن يجعله سببًا لليقظة والهداية، إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين.

والهداية نور يبدّد ركام الغافلين. فجاء العنوان شاهدًا على مقصد الكتاب: أن يكون نداءً يوقظ الغافل، ويبشّر المتيقّظ، ويُرشد السائر إلى أن من تخلّص من الظلمة عاش في نور المهتدين في ظلمة الغافلين.

كَتَبَهُ

أبو المنـــــذر

عـمـار بن عبـد الجليل

ابـــن هـــزاع الـوريـــفـــي

الحـــــــــوبـــــــانـــــي

عَـفَا اللهُ عَنْـــهُ، وَغَفَـــرَ لَهُ وَلِـوَالِـدَيْـــــهِ.

دار الحـديـث السـلـفـيـة بشـحـوح -سيـئـون-حـضـرموت

لـــسـنـــة ١٤٤٧ مـن هـــجـرة النَّبِيّ مـحـمـــد- ﷺ-.

تمهيد في تعريف الغفلة وخطورتها وأهمية اليقظة

أولًا: تعريف الغفلة

الغفلة في أصل اللغة: السهو عن الشيء وتركه من غير شعور به.

يقال: «غفل عن الأمر» إذا لم ينتبه له.

وهي ضد التيقظ والانتباه.

وأما في الشرع فهي: انصراف القلب عن الله عز وجل وعن ذكره، والاشتغال بما لا ينفع في الآخرة، حتى يضعف أثر الإيمان ويغيب حضور القلب.

ثانيًا: حقيقة الغفلة

ليست الغفلة مجرد جهل، فقد يجمع المرء علمًا كثيرًا وهو مع ذلك غافل، لأن قلبه لم يحضر مع ما علم، ولم يثمر له عملًا صالحًا.

فالغفلة إذن هي موت القلب عن مراقبة الله، وانشغاله بالدنيا حتى يظن أن الدنيا غاية وليست وسيلة للآخرة.

ثالثًا: صور الغفلة

الغفلة عن ذكر الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٥].

الغفلة عن الصلاة وأوقاتها: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون: ٥].

الغفلة عن الموت والآخرة: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ١].

رابعًا: خطورة الغفلة

الغفلة سبب قسوة القلب، فإذا قسا لم ينتفع بموعظة ولا بآية.

وهي أصل كل خطيئة، إذ لو تذكر العبد عظمة الله ما تجرأ على معصيته.

والغافل كالميت، يعيش في الدنيا بلا زاد، فإذا جاءه الموت تفطن حين لا ينفع التذكر.

خامسًا: علاج الغفلة

١- دوام ذكر الله باللسان والقلب.

٢- الإكثار من تلاوة القرآن بتدبر.

٣- حضور مجالس العلم والوعظ.

فائدة في الفرق بين السهو والغفلة والنسيان.

السّهو: غفلة القلب عن الشّيء بحيث يتنبّه بأدنى تنبّه.

والنّسيان: غيبة الشّيء عن القلب بحيث يحتاج إلى تحصيل جديد.

وقيل: **النّسيان**: زوال الصورة عن القوّة المدركة مع بقائها فى الحافظة.

والسّهو: زوالها عنهما معا.

والغفلة تشمل الأمرين، إذ الغفلة عمّا أنت عليه لتفقّده سهو، وعمّا أنت عليه لتفقّد غيره نسيان

التفكر في الموت والآخرة، فإنها أقطع ما يكون للغفلة[١].

(١) انظر «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم» (١١/ ٥٠٩٩).

أهمية اليقظة

اليقظة ضد الغفلة، وهي حياة القلب، وحضور العقل، وانتباه الروح إلى حقيقة الوجود وغاية العمر.

وهي أول منازل السالكين إلى الله، فمن لم يستيقظ قلبه لم ينطلق إلى سير الآخرة.

أولًا: معنى اليقظة

اليقظة: هي انتباه القلب من رقدة الغفلة، ورجوعه إلى مراقبة الله، واستحضار حقيقة الدنيا والآخرة.

قال بعض السلف: «**اليقظة انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين**».

ثانيًا: فضل اليقظة

١- بها يثمر العلم عملاً، فلا يبقى مجرد معلومات.

٢- وبها يتحرك القلب للمسارعة في الخيرات، ويغتنم الأوقات.

٣- وبها يتذكر العبد مراقبة الله، فيستحي أن يراه على معصية.

ثالثًا: نصوص في فضل اليقظة

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى: ١٤-١٥].

فالنجاة لمن تطهر قلبه باليقظة والذكر والعمل.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الْأَمَانِيَّ»(١)

فالموفق الكيس هو الذي أيقظه الله من غفلته، فحاسب نفسه قبل أن يحاسب.

رابعًا: ثمار اليقظة

١- حفظ الأوقات من الضياع.

٢- طهارة القلب من التعلق بالباطل.

٣- السبق في ميدان الطاعة.

٤- الاستعداد للقاء الله تعالى بلا حسرة ولا ندامة.

(١) رواه الترمذي رقم (٢٤٥٩)، وهو حديث صحيح بشواهده وأصوله كما سمعته من شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله.

الباب الأول:

بعض النصوص الواردة في الغفلة من القرآن واليقظة منها

الغفلة مرض القلوب، ومصدر الهلاك، وقد جاءت آيات كثيرة تصف حال الغافلين، وتبين سوء عاقبتهم، وتدعو المؤمن إلى الحذر من سلوك طريقهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة الأعراف:١٧٩].

فهذه الآية تبين أن الغفلة تسلب الإنسان حقيقة إنسانيته، حتى يُشبَّه بالبهائم، بل يكون أضل منها سبيلًا لأنه أعرض عن الهدى بعد أن عَرَفَه.

وقال سبحانه: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء:١].

الآية تصور عجيب حال الناس، فبينما الحساب قريب، وإذا هم في لهو وغفلة وإعراض، لا يعدّون له عدّته، ولا يستعدّون للقائه.

وقال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة

الأنبياء:٩٦-٩٧].

هذا إقرار الكفار عند اقتراب الساعة وقيام القيامة، اعترفوا أنهم عاشوا في غفلة عن اليوم العظيم، لكن اعترافهم جاء في وقت لا ينفع فيه الندم، فصار اعترافهم شاهدًا عليهم بأن الغفلة كانت ظلمًا للنفس.

وقال الله تعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [سورة الأعراف:١٤٦].

الغفلة هنا نتيجة الكبر والتجبر عن اتباع الحق.

فمن أعرض عن الرشد وركن إلى الغي فقد ختم الله على قلبه، فصار لا ينتفع بالآيات مهما كثرت الأدلة، وكانت الغفلة عقوبةً له وسدًّا بينه وبين الهداية.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [سورة الأعراف:١٧٢-١٧٤].

الميثاق الأول حجة على بني آدم جميعًا، فلا يُقبل عذر الغفلة يوم القيامة بزعم نسيان العهد، ولا يُقبل عذر التقليد للآباء في الشرك والباطل،

فالكل مسؤول أمام الله وقد قامت عليهم الحجة.

قال الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩ ﴾ [سورة النحل:١٠٦-١٠٩].

الغفلة هنا عقوبة للكافرين الذين استحبوا الدنيا على الآخرة، فطبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم جزاء إعراضهم، فصاروا لا يرون الحق ولا يسمعونه ولا يهتدون إليه.

فكانت الغفلة خاتمة لهم في الدنيا، والخسارة نصيبهم في الآخرة.

وقال الله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ٢٨ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ ٢٩ هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٣٠ ﴾ [سورة يونس:٢٨-٣٠].

هذا مشهد عظيم من مشاهد القيامة حيث تتبرأ المعبودات من عابديها، فتعلن أنها كانت غافلة عن تلك العبادة الباطلة، وفي ذلك إظهار لبطلان عبادة المشركين طوال حياتهم، وأن غفلتهم عن التوحيد أوردتهم موارد

الخسران.

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٥].

في هذه الآية أمر مباشر للمؤمن أن يكثر من الذكر في كل حال، حتى يسلم من داء الغفلة، التي تميت القلب وتغلق أبواب الخير.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ [سورة الأعراف: ٢٠١-٢٠٢].

فالفرق بين أولياء الله وأولياء الشيطان أن الأول إذا ألمّ به طائف من الغفلة أسرع إلى الذكر فعاد إلى البصيرة، وأما الآخرون فيتمادون في الغي بلا توقف.

وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٥٤-١٥٧].

قطع الله حجج الكفار بزعمهم أنهم غفلوا عن دراسة الكتب السابقة،

فأنزل عليهم القرآن ليبطل الأعذار وليقيم الحجة عليهم، فالغفلة عن طلب العلم لا تكون عذرًا، بل هي تقصير ظاهر.

ولهذا جعل الله اتباع الكتاب الجديد فريضة لازمة لهم.

وقال جل وعلا: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة الأنعام: ٧٠].

الغفلة هنا مقرونة باللهو واللعب، وهي آفة من ركن إلى الدنيا وزخارفها، فكانت سبب هلاكه وخسرانه.

وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الكهف: ٢٨].

نهى الله عن طاعة الغافلين، لأن صحبتهم ومتابعتهم تجرّ القلب إلى الإعراض عن الذكر واتباع الهوى، فيكون الأمر كله تضييعًا وفسادًا.

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى

بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ [سورة الأعراف: ١٣٤-١٣٧].

هذه الغفلة وصف لفرعون وقومه بعد تتابع الآيات عليهم.

فرغم الرجز والبلاء الذي وقع بهم لم يعتبروا بآيات الله، فكانت قلوبهم محجوبة عن الانتفاع بالآيات حتى عاينوا الهلاك، فكان الغرق جزاء غفلتهم، وعبرة لكل معرض عن الذكر.

وقال الله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم: ٧].

هذه الغفلة وصف لحال من لا يعرف من الدنيا إلا ظاهرها، فهو عالم بصناعاتها وتجارتها لكنه جاهل بأمر الآخرة، فجعل الله انشغاله بظاهر الدنيا غفلةً عن المصير الأبدي.

وفي ذلك تحذير من العلم الناقص الذي لا يقود إلى تقوى.

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٥].

أمر الله عباده أن يذكروه في كل حال بالغدو والآصال، فالذكر حياة القلب والغفلة موته، ونهى أن يكون العبد من الغافلين الذين يلهون عن ذكره، فمن داوم على الذكر وُقي من الغفلة والحرمان.

وقال الله تعالى: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا

مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ [سورة يونس:٩٢].

هذا في قصة فرعون حين نُجي بدنه بعد الغرق ليكون عبرة، ومع وضوح هذه الآية العظيمة يغفل كثير من الناس عن الاعتبار، فالغفلة تحجب القلب عن رؤية دلائل قدرة الله.

ولو فطنوا لعلموا أن مصير المكذبين الهلاك وإن طال الأمد.

قال الله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [مريم:٣٧].

هذه الغفلة نتيجة الاختلاف والخصومة في أمر الدين، فانشغلوا بالجدال والمراء حتى غفلوا عن يوم القيامة، فجاءهم الوعيد بالويل من ذلك المشهد العظيم، فكان الخلاف والجدال بغير هدى سببًا لغفلة تورث الهلاك.

وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾﴾ [سورة القمر:١-٣].

بيان أن الغفلة عن الآيات الكبرى، والاشتغال بالتكذيب واتباع الهوى، سمة المكذبين، مع أن دلائل الحق أوضح من القمر المنشق.

وقال سبحانه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات:٥٥].

المؤمنون وإن غفلوا أحيانًا، فإن الذكرى تعيدهم إلى رشدهم، أما من طُبع على قلبه فالتذكير لا ينفعه.

وقال جل شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون:٥].

الآية تصف المنافقين الذين يغفلون عن الصلاة، إما بتضييع وقتها، أو بترك الخشوع فيها، فكان وصفهم بالسهو والغفلة.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝١٩﴾ [سورة الحشر:١٩].

فنسيان الله نوع من الغفلة الكبرى، وعقوبته أن ينسى العبد نفسه، فيهلك من حيث لا يشعر.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾ [سورة المعارج:٦-٧].

الكفار في غفلة يرون القيامة بعيدة، بينما هي عند الله قريبة واقعة.

وقال تعالى: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر:٣].

هذه غفلة الانغماس في الشهوات، والانشغال بالدنيا مع طول الأمل، ثم تكون النهاية ندمًا وعذابًا.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [سورة يونس:٧].

هذه الآية تصور الغافلين بأنهم ركنوا إلى الدنيا، واطمأنوا بها، وأعرضوا عن آيات الله، فكان حجاب الغفلة سبب حرمانهم من رجاء لقاء الله.

وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ

﴿٢٢﴾ [سورة ق:٢٢].

هنا يبين الله أن الغفلة تنقشع يوم القيامة، لكن بعد فوات الأوان، فلا تنفع الحسرة ولا الندامة حين يُكشف الغطاء ويصير البصر حديدًا.

وقال سبحانه: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة المؤمنون:٦٣].

الآية تصف الغافلين بأن قلوبهم في غمرة أي في غفلة وغطاء كثيف، فلا ينتفعون بالذكر، ويستمرون في أعمالهم الباطلة بلا تفكر ولا تذكر.

وقال جل وعلا: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحجر:٣].

هذه صورة للغافلين المنغمسين في اللذات، المتشاغلين بطول الأمل، وقد توعدهم الله بالعلم اليقيني يوم القيامة حين تنكشف الحقائق.

وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة مريم:٥٩].

إضاعة الصلاة واتباع الشهوات أعظم صور الغفلة، وقد بينت الآية سوء عاقبة من ركن إليها، وأن جزاءهم الغي والهلاك.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [سورة المعارج:٦-٧].

هذه الغفلة العظمى، إذ يرى الغافل يوم القيامة بعيدًا لا يقع، بينما هو عند الله قريب حاضر، فلا يدرك الغافل إلا عند وقوعه.

الباب الثاني:

بعض النصوص الواردة في الغفلة واليقظة منها

ما أشــدَّ ما يخدع المرءَ ســرابُ الدنيا، حتى يظن أن الأوقات ممدودة، والأنفاس موفورة، فإذا بالليالي تنســلّ خفية، والأيام تُطوى طيًّا، والعمر ينقضــي ســراعًا. وبين يقظة وغفلة، وخطوة وأخرى، يجد المرء نفســه وقد أدركه الأجل، فإمّا إلى روضــة من رياض الجنة، وإمّا إلى حفرة من حفر النار.

الغفلةُ نومٌ طويل، ولو كانت العين مفتوحة، واليقظةُ حياةٌ كاملة، ولو ثقل الجسد واعتراه الوهن. ما بين الغافل والمتيقّظ بونٌ شاسع؛ ذاك يتخبّط في الظلمات لا يدري إلى أين المسير، وهذا يسير على نور يضيء له الدرب، ويهديه سواء السبيل.

ولأجل ذلك كان الحديث عن الغفلة واليقظة حديثًا عن الحياة والموت، عن الفلاح والخسران، وعن سعادة الأبد أو شقائه.

وإليك هذه النصوص الواردة:

الغفلة سبب لحرمان الدعاء

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ – أَيُّهَا النَّاسُ –

فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ»[١].

يبين الحديث أن الغفلة تحجب العبد عن قبول الدعاء، فالقلب إن لم يحضر ضاع أثر اللسان، والدعاء مع الغفلة ألفاظ خاوية لا تصعد إلى السماء.

أما مع اليقين والحضور، فهو سهام نافذة بين يدي الله.

الغفلة تحجب عن الرحمة

فعن يسيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«عَلَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ، وَاعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ، فَإِنَّهُنَّ مَسْؤُولَاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ، وَلَا تَغْفُلْنَ فَتَنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ»[٢].

في الحديث وصية عظيمة بالمداومة على الذكر، وبيان أن تركه غفلة توجب الحرمان من الرحمة، حتى الأصابع تُسأل وتشهد بما عُقد عليها من الذكر.

فالموفق من جعل التسبيح عادة يومه وليلته.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٤٥).

(٢) رواه أحمد (٦/ ٣٧٠) وأبو داود رقم (١٥٠١)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» رقم (١٣٤٨).

الغفلة موت والذكر حياة

فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»(١).

شبّه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الغافل بالميت الذي لا روح له، فحياة القلب بالذكر، وموته بالغفلة.

وهذا يبين أن الدنيا بلا ذكر خواء وضياع، فالسعيد من أحيا وقته بذكر الله.

الغفلة عن القرآن سبب للكتابة في ديوان الغافلين

فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ»(٢).

هذا الحديث يجعل القرآن ميزانًا للغفلة واليقظة، فمن كان له ورد ثابت من التلاوة، نُجي من الغفلة، وأعظم النجاة أن يُكتب عند الله من القانتين.

فأهل القرآن هم أهل اليقظة والرحمة.

الغفلة تجعل المجالس حسرة

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) رواه البخاري «كتاب الدعوات»، رقم (٦٤٠٧) ومسلم «كتاب الذكر والدعاء»، رقم (٧٧٩).

(٢) رواه الحاكم (١/ ٧٤٢) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٤٣٤).

«مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فَتَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللهِ، إِلَّا كَأَنَّمَا تَفَرَّقُوا عَنْ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً»(١).

شبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المجالس الخالية من ذكر الله بالجيف المنتنة، وفيه تحذير شديد من ضياع العمر في اللغو، فمجالس الغفلة تنقلب على أهلها وبالًا يوم القيامة.

والموفق من جعل كل مجلسه معمورًا بذكر الله.

الغفلة تترك المقعد وبالًا على صاحبه

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يُذْكَرِ اللهُ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَنْ اضْطَجَعَ مُضْطَجَعًا لَا يُذْكَرِ اللهُ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ»(٢).

يبين الحديث أن الغفلة تلاحق العبد حتى في جلوسه، فالمكان الخالي من الذكر شاهد على أهله يوم القيامة.

«التِرة»: النقص والخسارة، وهي ثمرة الغفلة.

فمن عمر مقعده بذكر الله سلم من هذا الوبال.

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٢١٧) وأحمد (٢/ ٤٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٥٠٨).

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٨٥٦) وأحمد (٢/ ٤٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٧٣٤).

الغفلة من آثار اللهو والاشتغال بالدنيا

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ افْتُتِنَ»(١).

يبين الحديث أن طبيعة الأعمال تؤثر على القلب، فسكنى البادية تورث الجفاء، وملازمة الصيد تورث الغفلة.

والاقتراب من السلطان سبب للفتنة.

وفيه إشارة إلى خطورة الانشغال بالدنيا عن الآخرة.

الغفلة عن الصلاة علامة النفاق

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا»(٢).

يبين الحديث أن من أخر الصلاة حتى ضاق وقتها فقد تشبه بالمنافقين.

وأن الغفلة عن الصلاة من أعظم سمات النفاق العملي.

فصلاتهم خالية من الخشوع والذكر.

أما المؤمن فإنه يبادر بها في وقتها حاضر القلب.

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٢٥٦) وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٢٥٥).

(٢) رواه مسلم «كتاب المساجد»، رقم (٦٢٢).

الغفلة عن الجمعة سبب لطمس القلوب

فعن عبد الله بن عمر وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لِيُنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وُدْعِهِمِ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لِيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لِيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»(١).

في الحديث تهديد شديد لمن يترك الجمعة بلا عذر.

فالغفلة عنها تورث الختم على القلب، ومن ختم قلبه فهو في ديوان الغافلين، فحضور الجمعة حياة للقلوب ومغفرة للذنوب.

الغفلة عن الذكر مطمع للشيطان

فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»(٢).

يبين الحديث أن الذكر حصن من الشيطان، وأن الغفلة عند دخول البيت أو الطعام تسلم المرء لعدوه، فالشيطان لا سلطان له إلا على الغافلين.

---

(١) رواه مسلم «كتاب الجمعة»، رقم (٨٦٥).

(٢) رواه مسلم «كتاب الأشربة»، رقم (٢٠١٨).

أما الذاكرون فهم في حرز الله وحفظه.

الغفلة عن التسمية تفتح باب الشيطان

فعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ ...»(١).

هذا الحديث يكشف بابًا من أبواب الغفلة التي يتسلط بها الشيطان، فترك التسمية عند الطعام استدعاء خفي له ومن اعتاد الذكر عند طعامه أغلق على الشيطان الطريق.

فالمؤمن يذكر الله في صغار الأمور وكبارها.

الغفلة عن الأوراد سبب للحرمان

فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّهُ قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ»(٢).

يبين الحديث أن الموفق لا يترك ورده ولو فاته وقته، فمن غفل عنه في الليل، عوضه في النهار.

وفيه بيان أن الله لا يضيع عمل العبد إذا صدق، فهذا من رحمته وكرمه بعباده.

---

(١) رواه مسلم «كتاب الأشربة»، رقم (٢٠١٧).

(٢) رواه مسلم «كتاب صلاة المسافرين»، رقم (٧٤٧).

الغفلة عند سكرة الموت والآخرة أعظم الغفلات

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوَقَّفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ... ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ثُمَّ قَرَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم:٣٩]»(١).

يبين الحديث أن أعظم الغفلة الغفلة عن الآخرة، فالموت آت لا محالة، والحياة بعده دار قرار، لكن الغافلين يعيشون وكأنهم خالدون.

فإذا ذبح الموت أدركوا الحقيقة بعد فوات الأوان.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قدوة في اليقظة

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن قيامه بالليل:

«أَمَا وَاللهِ مَا بِتُّ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَيْلَتِي هَذِهِ غَافِلًا، وَمَا خَفِي عَلَيَّ مَكَانُكُمْ، وَلَكِنِّي تَخَوَّفْتُ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْكُمْ»(٢).

يبين الحديث حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على العبادة مع خوفه

---

(١) رواه البخاري «كتاب الرقاق»، رقم (٦٥٤٨) ومسلم «كتاب الجنة»، رقم (٢٨٥٠).

(٢) رواه مسلم «كتاب صلاة المسافرين»، رقم (٧٦١).

على أمته، فهو أحرص الناس على الخير، وأرحمهم بأتباعه، وما غفل ليلة عن ربه طرفة عين.

فمن أراد النجاة فليقتدِ بهديه في اليقظة والعبادة.

الغفلة سبب للغبن في العمر

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»(١).

يبين الحديث أن الصحة والفراغ رأسمال العبد في طاعة الله، لكن الغفلة تضيع هذين الكنزَين حتى يندم المرء ساعة الفوت.

والغبن هنا أعظم من غبن المال، لأنه غبن العمر والآخرة، فالموفق من عمر وقته بالطاعة قبل أن يحال بينه وبينها.

الغفلة تورث الركون إلى الدنيا

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بمنكبي فقال:

«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»(٢).

أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالتخفف من الدنيا، لأن طول الأمل أصل الغفلة.

---

(١) رواه البخاري «كتاب الرقاق»، «باب ما جاء في الصحة والفراغ»، رقم (٦٤١٢).

(٢) رواه البخاري «كتاب الرقاق»، «باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، رقم (٦٤١٦).

فالغريب لا يستوطن بلده، بل يعد نفسه للرحيل في كل حين، وهكذا المؤمن، لا يركن للدنيا ولا يغفل عن سفره الطويل، فهو يعد الزاد، ويرجو السلامة يوم المعاد.

الغفلة تضيع فرص العمر

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ»(١).

هذا الحديث يحصي موارد الغفلة التي يخسرها أكثر الناس، فالعمر والصحة والشباب والمال كلها عوارض تزول سريعًا، ومن اغتنمها قبل فواتها كان من أعظم الموفقين.

أما من غفل عنها فقد فاته الخير كله بلا عودة.

الغفلة تلهي حتى يفجأ البلاء

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا: هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مَطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ»(٢).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤١، رقم ٧٨٤٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٠٧٧).

(٢) رواه الترمذي «كتاب الزهد»، «باب ما جاء في المبادرة بالأعمال»، رقم (٢٣٠٦)،

الحديث يرسم صور الغفلة المتعددة التي تباغت العبد.

فقد يشغله الفقر أو يطغيه الغنى أو يمرضه السقم أو يضعفه الهرم، ثم تأتي الفجائع الكبرى: الموت، الدجال، ثم الساعة.

فالحازم من بادر بالأعمال قبل حلول موانعها.

الغفلة في الخلوة تذهب بالأعمال

فعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ هَبَاءً مَنْثُورًا... وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا»(١).

هذا الحديث يكشف عن الغفلة الخفية في حال الخلوة، فالعبد قد يظهر الطاعة والذكر بين الناس، لكنه يغفل عن مراقبة الله في السر فيقع في المعاصي، فإذا جاء يوم القيامة أحبطت غفلته عمله كله.

وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٠٧٧).

(١) رواه ابن ماجه «كتاب الزهد»، «باب الغيبة»، رقم (٤٢٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢/ ٤١٦، رقم ٣٤٤٣).

الباب الثالث:

بيان فضل العبادة زمن الغفلة

إن العبادة زمن الغفلة من أشرف العبادات وأرفعها منزلة، إذ هي دليل إخلاصٍ، وعلامة صدقٍ، وبرهان محبةٍ، لأن العبد يذكر ربه حين يغفل الناس، ويقوم إليه حين ينام الخلق، فيكون كالغريب في قومه، والوحيد في جماعته.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشرح:٧-٨].

في هذه الآية تنبيه على أن وقت الفراغ مظنة الانشغال واللهو، فأُمر العبد أن يجعله ميدانًا للعبادة، ليملأ وقته بما ينفعه عند الله.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩﴾ [سورة فاطر:٢٩]

فجعل الإنفاق سرًّا، وهو وقت الغفلة عن أعين الناس، قرينًا للتجارة الرابحة، ليُعلم أن الخفاء زمن الغفلة أحب إلى الله وأعظم أجرًا.

وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦﴾ [السجدة:١٦].

هذه الآية تصف أهل القيام في الليل، وهو زمن غفلة الناس، حيث هجود الأجساد، وسكون البيوت، لكنهم قاموا لله يناجونه، فاستحقوا مدح

الله وثناءه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٣٥].

ذكر القنوت والخشوع والصدق، وهي عبادات يغفل عنها الناس، ليبيّن أن من لازمها في أوقات الغفلة أعد الله له مغفرة وأجرًا عظيمًا.

وعن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ». (١)

هذا الحديث أصل في الباب، إذ جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ العبادة في زمن الفتن – وهو وقت الغفلة والاضطراب – بمنزلة الهجرة إليه، لعِظم أجرها وندرة فاعلها.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ».

قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ» (٢)

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٤٨).

(٢) رواه مسلم رقم (٢٦٧٦).

وهذا بيان أن أهل الذكر يسبقون الناس؛ لأنهم يذكرون الله حين يغفل غيرهم، فانفردوا بالقرب والسبق.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ»(١).

فهذا يبيّن أن مجرد القيام بالقليل من القرآن يُخرج العبد من زمرة الغافلين، وهو شرف عظيم.

وعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ، سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ، وَلَا تُسَمِّيَنَّ غُلَامَكَ يَسَارًا، وَلَا رَبَاحًا، وَلَا نَجِيحًا، وَلَا أَفْلَحَ فَإِنَّكَ تَقُولُ أَثَمَّ هُوَ فَلَا يَكُونُ، فَيَقُولُ لَا إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ، فَلَا تَزِيدُنَّ عَلَيَّ»(٢).

وهذه الكلمات يُغفل عنها الناس في لغطهم وكلامهم، فمن أكثر منها في زمن الغفلة كان من الموفقين.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى

(١) رواه أبو داود رقم (١٣٩٨) وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود ط غراس» (٥/ ١٤٣).

(٢) رواه مسلم رقم (٢١٣٩).

يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطْوِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»(١).

فالوضوء على المكاره - كالبرد والكسل - زمن غفلة الناس عن الإحسان في الطهارة، عبادة عظيمة ترفع الدرجات.

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تَحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»(٢).

وفيه بيان أن المحافظة على الوضوء - مع غفلة الناس عنه - علامة إيمان، ودليل صدق، وسبب لعلو الدرجات.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلقَوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟»

قَالُوا: بَلَى.

قَالَ: «ذِكْرُ اللهِ»(٣).

فالذكر عمل يسير، لكنه يغفل عنه أكثر الناس، وهو خير من أعظم الجهاد إذا أُديم في الغفلة.

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥١).

(٢) رواه أحمد رقم (٢٢٤٣٠) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٩٥٧).

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٧) وصححه الألباني في «جامع الترمذي» (٣٣٧٥).

وعن عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ.

قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ»(١).

وهذا يدل على أن الذكر في كل وقت –وخاصة في أوقات الغفلة– هو عصمة للعبد، وسبب فلاحه.

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مِثْلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مِثْلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»(٢).

فالذاكر في زمن الغفلة حيٌّ بين أموات، حاضر القلب بين نيام، وهذا من أعظم الفوارق.

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«الرِّبَاطُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَ»(٣).

وهذا أصل في أن الرباط – وهو انتظار الصلاة بعد الصلاة – زمن غفلة الناس يعدل أعظم أعمال الدنيا.

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٥) وصححه الألباني في «جامع الترمذي» (٣٣٧٣).
(٢) رواه البخاري رقم (٦٤٠٧)، ومسلم رقم (٧٧٩).
(٣) رواه البخاري رقم (٢٨٩٢)، ومسلم رقم (١٨٨٠).

«أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «ذِكْرُ اللهِ كَثِيرًا»(١).

فأكّد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن الذكر -الذي يغفل عنه الناس- هو خير الأعمال وأرفعها عند الله.

(١) رواه أحمد رقم (٢١٧٣٧) وصححه الألباني في «جامع الترمذي» (٣٣٧٥).

الباب الرابع:

أوقات الغفلة في اليوم والليلة

١- «ما بين الأذان والإقامة» – موطن دعاء مستجاب يغفل عنه الناس.

٢- «بعد صلاة الفجر حتى طلوع الشمس» – فضل الجلوس للذكر.

٣- «وقت الضحى» – صلاة الأوابين حين ينشغل الناس بأعمالهم.

٤- «قبيل الزوال» – وقت ذكر ودعاء يغفل عنه الناس.

٥- «بعد الظهر» – وقت القيلولة والانشغال بالدنيا.

٦- «ما بين العصر والمغرب» – وقت ركود الناس وغفلتهم.

٧- «قبيل الغروب» – وقت خاص للتسبيح والدعاء.

٨- «بعد المغرب» – قراءة القرآن وتعليم الأهل.

٩- «بعد العشاء» – وقت الراحة والنوم عند أكثر الناس.

١٠- «جوف الليل الأول» – سكون الخلق وغفلتهم.

١١- «الثلث الأوسط من الليل» – وقت يغفل فيه غالب الناس.

١٢- «الثلث الأخير من الليل» – وقت نزول الرب سبحانه.

١٣- «وقت السَّحر قبيل الفجر» – الاستغفار والدعاء.

١٤- «ما بعد الفجر مباشرة» – حين يغلب النوم على أكثر الناس.

١٥- «أول النهار مع انشغال الناس بأعمالهم» – يغفلون عن الذكر.

١٦- «وقت السفر في النهار» – الناس يغفلون عن الذكر.

١٧- «**وقت السفر في الليل**» - موطن غفلة وهو ميدان ذكر وتسبيح.

١٨- «**أوقات الطعام**» - ذكر الله والبسملة والحمد بعده.

١٩- «**عند دخول الأسواق**» - موطن غفلة شديد وفضل الذكر فيه عظيم.

٢٠- «**أوقات والانفراد**» - حين يلهو الناس ويختلطون.

الفصل الأول: جوف الليل ونصفه وثلثه (وقت السحر)

الليل ميدان الخواصّ من عباد الله، فيه صفاء القلب، وسكون الجوارح، وغفلة الخلق، فتنفتح أبواب الأنس بالله. ومن تدبّر نصوص الكتاب والسنّة علم أن ساعات الليل ليست سواء؛ بل جعل الله فيها مواقيت شريفة، بعضها أفضل من بعض. والموفّق من عرف منازلها، فاغتنم أول الليل بعد العشاء، ثم الثلث الأوسط، ثم الثلث الأخير وقت السحر. ففي كل ساعة فضل، وفي كل لحظة نفحة، والسعيد من بادرها قبل أن تغلق أبوابها.

أكثر الناس نيام في أول الليل، ويغفلون عن أن القيام فيه عبادة عظيمة.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ٤٠﴾ [ق: ٤٠].

وهذا يشمل التسبيح في أوائل الليل.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ. رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ»(١)

هذا الحديث يرغّب في إحياء البيت بالذكر والقيام، فلا يقتصر الخير على الفرد بل يشمل الأسرة.

وفيه أن الزوجين إذا تعاونا على الطاعة عمّهما الدعاء بالرحمة.

---

(١) رواه أبو داود (١٣٠٨) وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود ط غراس» (٥/ ٥١).

وفيه حثّ على اللطف بالزوج أو الزوجة عند التنبيه، وإن اقتضى الأمر رشّ الماء لتحصيل الخير.

وهو دليل أن الاجتماع على العبادة من أعظم أسباب نزول البركة في البيوت.

ثم يجيء الثلث الأوسط من الليل، وهو وقت يغفل عنه كثير من الناس إذ يغلبهم النوم بين أوله وآخره، لكنه ميدان خاص لأهل الإقبال على الله.

قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة الفرقان: ٦٣-٦٤].

مدح الله عباده الذين يقومون بالليل في حال يغفل عنها غيرهم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«فَضْلُ الصِّيامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَفَضْلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»(١)

يدل هذا الحديث على أن قيام الليل أفضل النوافل إطلاقًا، لما فيه من إخلاص وخلوة بالله. كما أن المقارنة بالصيام فيها إشارة إلى شرف الوقت وفضيلة المجاهدة.

ويظهر من الحديث أن قيام الليل ليس محصورًا في الثلث الأخير بل يشمل عموم الليل. فهو عبادة ثابتة وعزيزة على النفوس، لكنها سهلة على

(١) رواه مسلم (١١٦٣).

من وفّقه الله.

ثم يجيء الثلث الأخير وقت السَّحر قبيل الفجر، وهو أشرف أوقات الليل، وأعظمها بركة، وساعة نزول الرب سبحانه نزولًا يليق بجلاله.

قال الله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الذاريات:١٧-١٨].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخَرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»(١)

هذا الحديث من أعظم أبواب الرجاء، إذ فيه فتح باب الدعاء والمغفرة كل ليلة.

وفيه إثبات صفة النزول لله على ما يليق بجلاله، كما يدل على عظيم فضل الثلث الأخير، إذ هو وقت السؤال والإجابة.

فمن أعرض عن هذا الفضل وهو مستطيع فقد فاته خير كثير.

إن وقت السحر من أعظم أوقات العبادة، وهو قبيل الفجر بيسير، حيث تهدأ الأصوات، وتصفو القلوب، وينام الغافلون، ويستيقظ الموفقون للذكر والاستغفار. وقد أثنى الله على عباده الذين يعمرون هذا الوقت الشريف.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران:١٧].

---

(١) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

مدح الله عباده الذين يخصون الأسحار بالاستغفار.

فهذا وقت خلوة بين العبد وربه، يغفل عنه الأكثرون، وهو وقت صفاء القلوب، وتعرض لنفحات الرحمن.

فمن وفق له كان من أهل الرحمة والرضوان.

وقال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الذاريات:١٧-١٨].

هذا وصف مقربين من عباد الله، فهم يجمعون بين قيام الليل والاستغفار في السحر.

وفي ذلك دلالة على شرف هذا الوقت، وأنه ميعاد القبول والرضا من الله تعالى.

الفصل الثاني: وقت الفجر وصلاة الصبح

وقت الفجر هو ميدان عظيم من ميادين الغفلة، فبينما ينام أكثر الناس عن هذه الصلاة، يوفق الله أقوامًا لأدائها في وقتها، فينالون أعظم الأجور.

وصلاة الفجر هي ميزان الإيمان، وعلامة صدق العبد مع ربه.

قال الله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء:٧٨].

في هذه الآية دلالة على شرف صلاة الفجر، حيث سماها «قرآن الفجر».

وبيّن أن الملائكة تشهدها مع العبد، فهي صلاة مشهودة، يغفل عنها أكثر الخلق في نومهم، ومن أقامها كتب من الموفقين الفائزين.

وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»(١).

يبين الحديث أن صلاة الفجر في جماعة تعدل قيام الليل كله.

ولذلك فهي ثقيلة على المنافقين الذين غفلوا عنها، لكن أهل الإيمان يحرصون عليها ولو في شدة النوم، فكان لهم أجر عظيم ورفعة عند الله.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتْمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا»(٢).

فدلّ الحديث على عظيم الأجر في صلاة الفجر، حتى لو كلف الإنسان مشقة بالغة.

لكن الغفلة تمنع الناس من شهودها.

ومن وفقه الله لها فهو من أهل الفلاح، ومن ضيعها فهو من المحرومين.

الفصل الثالث: وقت السفر في الليل

ليل السفر مظنة الغفلة، لكن من وُفّق للذكر فيه نال الأجر العظيم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا

(١) رواه مسلم رقم (٦٥٦).

(٢) رواه البخاري رقم (٧٢٢٤)، ومسلم رقم (٤٣٧).

عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ [سورة آل عمران: ١٩٠-١٩١].

فالليل في السفر وقت تفكر وذكر، يغفل عنه كثيرون.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«عَلَيْكُمْ بِالدَّلْجَةِ، فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ»(١).

فذكر فضل السير ليلًا، وفيه تنبيه على اغتنامه بالذكر بدل الغفلة.

الفصل الرابع: أوقات الطعام

الطعام موطن يغفل فيه كثير من الناس عن ذكر الله، مع أنه مجال عظيم لشكر المنعم.

قال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الأنعام: ١١٨].

فدلّ على أن التسمية عند الأكل عبادة عظيمة، يغفل عنها الكثيرون.

وعن عمر بن أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنْتُ غُلَامًا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدَيَّ تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ.

فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يُلِيكَ»(٢).

فالتسمية والأدب في الطعام عبادة، يغفل عنها الكثير من الناس.

الفوائد التربوية للأربعة الفصول

---

(١) رواه أبو داود رقم (٢٥٧١)، وصححه الألباني في «سنن أبي داود» (٢٥٧٠).

(٢) رواه البخاري رقم (٥٣٧٦)، ومسلم رقم (٢٠٢٢).

١- أوّل النهار مع الانشغال بالمعاش، مظنة غفلة عظيمة، والذاكر فيه من الموفقين.

٢- السفر في الليل والنهار مجال واسع للذكر والدعاء.

٣- الأكل والشرب ليس مجرد عادة، بل عبادة إذا استُفتح ببسم الله وخُتم بالحمد لله.

٤- من اغتنم هذه المواطن القليلة صار من السابقين.

٥- الغفلة في هذه الأوقات عامة، واليقظة فيها علامة قرب من الله.

الفصل الخامس: عند دخول الأسواق

الأسواق موطن غفلة عظيم، يكثر فيها اللغو والحلف والكذب، ويندر فيها ذكر الله، فجعل الشرع الذكر فيها سببًا لمغفرة عظيمة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾ [النساء:٢٩].

فالأسواق مظنة أكل المال بالباطل والغفلة، والمحفوظ من حفظه الله بالذكر.

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَى عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ

أَلْفِ دَرَجَةٍ»[١].

فهذا ذكر يسير في موطن غفلة شديد، فكان ثوابه عظيمًا.

الفصل السادس: أوقات الخلوة والانفراد

الخلوة موطن يغفل فيه العبد، وقد تكون مدخلًا للشيطان، لكن من استثمرها بالذكر والطاعة صار من خواص عباد الله.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

فالذكر في كل حال – خاصة في حال الانفراد – صفة الموفقين.

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ هَبَاءً مِنْثُورًا».

قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهم لنا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ.

قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا»[٢].

فالخلوة إن لم تُستثمر في طاعة كانت سببًا للهلاك، ومن عمرها بالذكر صار من أولياء الله.

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٤٢٨)، وحسنه الألباني في «جامع الترمذي» (٣٤٢٦).

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٤٢٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٤٢٣).

الخاتمة لهذا الباب

بهذه الفصول العشرين اكتمل لنا بيان أهم مواطن الغفلة في اليوم والليلة، من طلوع الفجر حتى آخر الليل، ومن الأسواق إلى الخلوات.

وكلها أوقات يغفل فيها أكثر الناس، ويُوفّق لها خواص عباد الله. والعبادة في هذه المواطن القليلة دليل صفاء القلب، وصحة التوجه إلى الله، وبها يتميز السابقون عن المفرطين.

الفصل السابع: بعد صلاة الفجر حتى طلوع الشمس

بعد انقضاء ليل العابدين وقيام المتهجدين، يشرق الفجر معلنًا بداية يوم جديد، وهو وقت له خصوصية عظيمة في الشرع.

فالموفق من لم يضيّع هذه الساعة، بل جعلها ميدانًا للذكر وتلاوة القرآن، والجلوس في المسجد حتى تطلع الشمس.

وقد وردت فيها نصوص تحث على اغتنامها، فهي من أعظم أسباب بركة العمر والرزق.

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١٩﴾ [سورة الروم:١٨-١٩].

فأمر بذكره سبحانه في الصباح كما في المساء، وبيّن أن التسبيح بعد الفجر عبادةٌ عظيمة.

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

«اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»(١).

يبين الحديث أن البركة في الرزق والعمل إنما تكون في أوائل النهار. فالمسلم إذا اغتنم وقت البكور بالدعاء والعمل والذكر نال بركة في عمره ومعاشه. وفيه حثّ على ترك الكسل والنوم بعد الفجر، والانطلاق في مصالح الدنيا والدين.

هذا الوقت يغفل عنه أكثر الناس؛ فمنهم من ينصرف إلى نوم، ومنهم من يلهو بأحاديث الدنيا، مع أن الشريعة رغّبت في البقاء بعد صلاة الفجر للذكر وقراءة القرآن، حتى تطلع الشمس، فهو وقت نفيس يُكتب فيه لصاحبه أجر عظيم كأجر الحج والعمرة.

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، تَامَّةٍ، تَامَّةٍ، تَامَّةٍ»(٢).

فجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أجر المكوث بعد الفجر حتى طلوع الشمس مع صلاة ركعتين كأجر الحج والعمرة التامة، وذلك لندرة من يثبت في هذا الموطن.

هذا الحديث يرغّب في ملازمة الذكر بعد الفجر، حتى يحوز العبد ثواب الحج والعمرة.

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٠٦) وصححه الألباني في «الجامع الصغير» (٢١٨٠).

(٢) رواه الترمذي رقم (٥٨٦)، والحديث في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٧/ ١١٩٥) وفي «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢/ ١٠٨٦)

وهو فضل عظيم لا يناله إلا من ثبّت نفسه على الذكر في ساعة يغفل فيها كثير من الناس.

وفيه أن الجلوس في مصلاك بعد الفجر سبب لدوام النور في القلب والبركة في اليوم

وعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مِصْلَاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا»(١).

وهذا يدل على أن البقاء للذكر بعد الفجر سنة نبوية عملية، وهو وقت يغفل عنه كثير من الناس.

الفصل الرابع: وقت الضحى(٢)

وقت الضحى يغفل عنه كثير من الناس، إذ ينشغلون بأعمالهم وتجارتهم، بينما هو وقت صلاة الأوابين التي أوصى بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقال الله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [سورة الضحى: ١-٢].

أقسم الله بالضحى، وفي ذلك إشارة إلى عظيم شأنه، وما فيه من بركة

---

(١) رواه مسلم رقم (٦٧٠).

(٢) وقت صلاة الضحى يبدأ من ارتفاع الشمس قدر ميل (أي بعد طلوعها بنحو ربع ساعة تقريبًا) إلى قبيل وقت الزوال، وهو دخول وقت الظهر.
وأفضله حين ترمض الفصال (أي حين تشتد حرارة الشمس على صغار الإبل) وقدر قبل الظهر بعشرين دقيقة تقريبا.

ونور.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ: صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَا الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ»(١).

فالضحى وقت يغفل عنه الناس، فجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المداومة على ركعتيه وصية خاصة.

الغفلة في هذا الوقت شديدة، إذ ينصرف الناس إلى أعمالهم ومعايشهم، ويغفلون عن الذكر والصلاة، فجعل الله فيه عبادة مخصوصة هي صلاة الضحى، وجعلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صدقة عن كل مفصل من مفاصل العبد.

فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»(٢).

في الحديث إشارة إلى أن صلاة الضحى كافية في شكر نعمة الجوارح كلها، وأنها عبادة يغفل عنها كثير من الناس في وقت انشغالهم.

---

(١) رواه البخاري رقم (١١٧٨)، ومسلم رقم (٧٢١).

(٢) رواه مسلم «كتاب صلاة المسافرين»، «باب صلاة الضحى»، رقم (٧٢٠).

فالموفق من لازمها، فكانت له وقاية من الغفلة، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يحافظ عليها ويوصي بها أصحابه.

الفصل الخامس: بعد الظهر

هذا وقت يغفل فيه كثير من الناس، إذ هو زمن القيلولة واشتداد الحر، وانشغال الناس بأشغالهم ومعايشهم.

فجاء الشرع ليبين فضل العبادة فيه، وأنه وقت عظيم تُرفع فيه الأعمال.

قال الله تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الروم: ١٧-١٨].

ذكَر الله وقت الظهيرة مع بقية أوقات اليوم، ليُعلم أن ذكره لا يختص بالصباح أو المساء.

وفيه تنبيه إلى أن العبادة في هذا الوقت مع الغفلة أعظم أجرًا، فهو زمن يلهو فيه الناس بالدنيا، فيكون الذاكر فيه من السابقين.

ولذلك عُدَّ الذكر فيه علامة يقظة القلب.

وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٠﴾ ﴾ [سورة طه: ١٣٠]

يدل قوله ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ على أن الذكر مشروع في جميع أوقات النهار.

فيدخل في ذلك وقت الزوال والظهيرة، فهو وقت يغفل فيه الناس، لكنه باب فُتح للذاكرين.

وفيه تحقيق لرضا الله ونيل مرضاته.

وعن عبد الله بن السائب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يصلي أربعًا بعد أن تزول الشمس وقال:

«إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يُرْفَعَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ»(١).

في الحديث بيان لفضل الصلاة والذكر بعد الزوال، وأنه وقت تفتح فيه أبواب السماء، فيُستجاب الدعاء.

فالموفق لا يضيّع هذه الساعة، ولو بركعات يسيرة، فهي كنز من الأوقات يغفل عنه الأكثرون.

الفصل السادس: وقت العصر:

وقت العصر من أعظم مواطن الغفلة، فهو وقت انشغال الناس بالتجارات والأعمال، وقد سماه الله وقت الخسران لمن ضيّع، ووقت الفوز لمن عمره بالعبادة.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [سورة العصر: ١-٣].

أقسم الله بالعصر لما فيه من شرف الوقت وندرته.

---

(١) رواه الترمذي رقم (٤٧٨)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٣٨١).

وفيه إشارة إلى أن الإنسان يضيع عمره سدى بالغفلة، فالفوز إنما يكون بالإيمان والعمل الصالح.

ولهذا كان العصر ميدانًا لتمييز الغافلين من الذاكرين.

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه:١٣٠].

فسر أكثر المفسرين ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ بصلاة العصر.

فأمر الله نبيه بالمحافظة عليها، لفضلها ومكانتها.

وهي الصلاة الوسطى التي أمر الله بحفظها في قوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة:٢٣٨].

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم الأحزاب:

«شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الوُسْطَى صَلَاةِ العَصْرِ، مَلَأَ اللهُ بُيُوْتَهُمْ وَقُبُوْرَهُمْ نَارًا»(١).

وعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»(٢).

يبين الحديث خطورة ترك صلاة العصر حتى جعله النبي

(١) رواه البخاري «كتاب المغازي»، رقم (٦٣٩٦) ومسلم «كتاب المساجد»، رقم (٦٢٧).

(٢) رواه البخاري «كتاب مواقيت الصلاة»، رقم (٥٥٣) ومسلم «كتاب المساجد»، رقم (٦٢٦).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سببًا لحبوط العمل.

فدلّ على أن المحافظة عليها من أعظم القربات، وأن إضاعتها علامة على الغفلة الموصلة إلى الهلاك.

فهي ميزان الإيمان، والموفق من وُفّق للقيام بها في وقت الغفلة.

الفصل السابع: ما بين العصر والمغرب

هذا الوقت يغفل فيه كثير من الناس بالجلوس أو الانشغال بالدنيا، وهو مع ذلك وقت عظيم للذكر.

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: ٤١].

فالعشي يدخل فيه ما بعد العصر إلى المغرب، وهو وقت خاص بالتسبيح.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ -وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ-: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»(١).

يبين الحديث أن وقت العصر إلى المغرب هو وقت رفع الأعمال إلى

(١) رواه البخاري «كتاب مواقيت الصلاة»، رقم (٥٥٥) ومسلم «كتاب المساجد»، رقم (٦٣٢).

الله.

فإذا كان العبد في ذكر أو صلاة كان ذلك أزكى لعرض عمله.

وهذا يدل على عظيم فضل هذا الوقت وخطر الغفلة عنه.

فالموفق من ختم يومه بالذكر كما افتتحه.

الفصل الثامن: قبيل غروب الشمس

هذا من الأوقات التي تنشغل فيه النفوس وخاصة من كان صائما فالمرأة في بيتها بتحضير طعام والرجل في تعب وجوع وإرهاق، فالموفق من استغل الفرصة بالذكر وقراءة القرآن وما إلى ذلك من أعمال البر.

ووقت المغرب من أعظم الأوقات التي يغفل فيها كثير من الناس، إذ هو وقت الطعام والاجتماع بالأهل، وربما وقت لهو وانشغال، لكنه عند الله وقت عظيم، جعله ختام النهار وبداية الليل، وابتداء أذكار المساء.

قال الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [ق:٣٩].

فجعل التسبيح قبل الغروب عبادة خاصة، وهو وقت تغفل فيه القلوب.

فجاء في الآية التنبيه على الذكر عند المساء، وهو وقت دخول المغرب، فهو وقت تسبيح وحمد لله، يغفل عنه أكثر الناس.

والموفق من ختم نهاره بتسبيح ربه، فكان له ذكر في المساء كما كان له ذكر في الصباح.

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا

ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا»(١).

يبين الحديث أن وقت المغرب وقت انتشار الشياطين.

فالموفق من ملأ بيته بذكر الله عند الغروب، وأغلق أبوابه بالتسمية والتحصين، فهو وقت غفلة عامة، والذاكر فيه من الناجين.

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»(٢).

فأذكار المساء قبيل الغروب كنز يغفل عنه الكثيرون.

الفصل التاسع: ما بعد المغرب

بعد المغرب وقت قصير يغفل فيه الناس بالانشغال في أمور دنياهم، لكنه وقت فضيل لحلقات العلم والقرآن والذكر.

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

«لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عزوجل إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ

(١) رواه البخاري «كتاب بدء الخلق»، رقم (٣٢٨٠) ومسلم «كتاب الأشربة»، رقم (٢٠١٢).

(٢) رواه مسلم رقم (٢٦٩٢).

الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»(١)

يبين الحديث أن الجلوس لذكر الله سبب لرحمته ونزول سكينته، فإذا كان ذلك بعد المغرب – حيث يغفل الناس – كان أعظم أجرًا.

فالعبد يختار بين مجلس ذكر تحفه الملائكة أو مجلس لغو يكون عليه حسرة، ومن وفق لمثل هذه المجالس، فقد فاز برضا الله وذِكره في الملأ الأعلى.

فمجالس الذكر بعد المغرب من أجلّ ما يكون، والناس عنها في غفلة.

وفي لفظ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»(٢)

الفصل العاشر: ما بين الأذان والإقامة

هذا الوقت من أكثر أوقات الغفلة، ترى الناس يتحدثون في شؤون دنياهم، أو ينشغلون بالهواتف والكلام، بينما هو وقت رفيع تُستجاب فيه الدعوات ويُضاعف فيه الذكر.

من وُفّق له فقد اغتنم كنزًا عظيمًا.

قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا

(١) رواه مسلم رقم (٢٧٠٢).

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩)

بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ [سورة النور:٣٦].

هذه الآية تصف المساجد بأنها محال الذكر والتسبيح، وأعظم ذلك في مواطن انتظار الصلاة، حيث يكون العبد حاضر القلب في بيت الله.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ»(١).

فجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هذا الوقت وقت إجابة، يغفل عنه الناس باللغو، وينتبه له الموفقون بالدعاء.

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ – أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ –: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا»(٢).

فبيّن أن الدعاء عند الأذان وما بينه وبين الإقامة من أوقات الإجابة العظيمة.

الفصل الحادي عشر: وقت النوم

وقت النوم من أوقات الغفلة التي يغفل عنها كثير من الناس، إذ يخلدون إلى فرشهم بغير ذكر ولا وضوء، مع أن النوم هو ختام اليوم، والعبد لا يدري أيقوم بعده أم يُبعث إلى ربه.

(١) رواه أبو داود رقم (٥٢١)، والترمذي رقم (٢١٢)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود ط غراس» (٣/ ١٤).

(٢) رواه أبو داود رقم (٢٥٤٠)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» رقم (٢٢٩٠).

فعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، وَقُلْ:

اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ»(١)

فهذا الدعاء العظيم وصية نبوية تحفظ العبد إن نام، وتكون خاتمة يومه على التوحيد.

الفصل الثاني عشر: ما بعد الصلوات

الصلاة عمود الدين، وهي أعظم القربات، لكن العبادة لا تنتهي بالتسليم، بل يتبعها ذكر مشروع عظيم يغفل عنه كثير من الناس.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة النساء:١٠٣].

وعن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة:

(١) رواه البخاري (٢٤٧) ومسلم (٢٧١٠).

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَـرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»(١)

وعن كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مُعَقِّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً»(٢)

فهذه أذكار تكمل الصلاة، وتجبر نقصها، وتكتب للعبد حسنات عظيمة، لكن كثيرًا من الناس إذا سلّموا من صلاتهم قاموا مسرعين إلى الدنيا، أو انشغلوا بالحديث مع من بجوارهم، أو بالهاتف، فضاعت عليهم هذه الكنوز.

فالموفق من ختم صلاته بالذكر والدعاء، والغافل من اكتفى بالحركات الظاهرة ثم أعرض عن الأذكار.

الفصل الثالث عشر: عند دخول المنزل والخروج منه

البيت مأوى العبد ومحل راحته، وهو مكان يأوي إليه من مشاغل الدنيا، لكن الغفلة قد تسيطر عند دخوله وخروجه، فيدخل بلا ذكر ولا سلام، فيُفوّت على نفسه البركة، ويفتح للشيطان بابًا لمشاركته.

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

(١) رواه البخاري (٨٤٤) ومسلم (٥٩٣).
(٢) رواه مسلم (٥٩٧).

يقول:

«إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ. وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ. وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»(١)

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«يَا بُنَيَّ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ، يَكُنْ بَرَكَةٌ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ»(٢)

فهذان الحديثان يبينان أن ذكر الله والسلام عند الدخول يجلبان البركة للبيت وأهله، ويحميان من مبيت الشيطان ومشاركته.

ومع ذلك يغفل كثير من الناس عن هذه السنة، فيدخلون بيوتهم بلا ذكر ولا سلام، وربما شغلهم الهاتف أو الحديث، فلا يُذكر اسم الله على طعامهم ولا على دخولهم.

أما الموفَّق فهو الذي يدخل بيته بذكر الله والسلام، ويخرج منه بالتسمية والدعاء المشروع، فيكون بيته حصنًا من الشيطان، ومحلًا للبركة والطمأنينة.

---

(١) رواه مسلم (٢٠١٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٩٨) وحسنه الألباني «جامع الترمذي» (٢٦٩٦).

الفصل الرابع عشر: عند دخول السوق

السوق من أكثر المواطن التي يكثر فيها الغفلة واللهو، والقلوب فيها مشغولة بالبيع والشراء، لكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ علّمنا ذكرًا عظيمًا عند دخول السوق، يرفع صاحبه درجات عظيمة ويكتب له الأجر الجزيل.

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ»(١)

فانظر إلى عظم الفضل في موطن يغفل فيه الناس عن الذكر، ويكثر فيه الانشغال بالدنيا!

لكن الموفَّق إذا نزل السوق ذكر الله بهذا الدعاء، فكان له من الأجر ما لا يحصيه إلا الله، بينما الغافل لا يخرج من السوق إلا وقد أثقل كاهله بالغفلة واللهو وربما الآثام.

الفصل الخامس عشر: عند العطاس والتثاؤب

العطاس والتثاؤب من الأوقات التي يغفل الناس فيها عن الأذكار المشروعة، مع أنها يسيرة على اللسان، عظيمة الأجر عند الله.

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٢٨) وابن ماجه (٢٢٣٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٣١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعِطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللهَ، كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحْ بَالَكُمْ. وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ»(١)

فالعطاس عبادة إذا حمد العبد الله عنده، فيُكتب له الأجر، ويُشرع لإخوانه الدعاء له بالرحمة، ثم يرد عليهم بالدعاء بالهداية.

أما التثاؤب فهو من الشيطان، وقد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بكظمه ووضع اليد على الفم عنده، لكن كثيرًا من الناس يتثاءبون بغير ضبط، أو يُصدرون أصواتًا وضحكًا، فيفتحون بابًا للشيطان.

فالعبد الموفَّق يغتنم هذه اللحظات القصيرة بالذكر والدعاء المشروع، والغافل يضيعها في العادة واللهو.

الفصل السادس عشر: عند ركوب الدابة أو السيارة

من النعم العظيمة التي يغفل الناس عن شكرها: نعمة الركوب، سواء كانت دابة في الزمن الأول أو سيارات وطائرات ووسائل النقل في زماننا. والركوب موطن ذكر وعبادة، لكنه عند أكثر الناس موطن لهو وغفلة وحديث دنيوي.

قال الله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ

(١) رواه البخاري (٦٢٢٦) ومسلم (٢٩٩٤).

وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ [سورة الزخرف: ١٣-١٤].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبّر ثلاثًا، ثم قال:

«سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى ...»(١)

فهذا الذكر يذكّر العبد بنعمة الله عليه، ويجعل ركوبه عبادة وقربة، لكن أكثر الناس اليوم لا يذكرون الله عند ركوب سياراتهم، بل ربما يبدؤون رحلتهم بالغناء أو اللهو أو الانشغال بالهاتف، ويغفلون عن التسمية والدعاء المشروع.

أما الموفَّق فهو الذي يحوّل رحلته إلى طاعة بذكر الله عند الركوب والدعاء المأثور، فيكون سفره كله في طاعة الله.

الفصل السابع عشر: عند لبس الثوب الجديد

اللباس نعمة من نعم الله العظيمة، يستر العبد ويزينه، وهو من أسباب العافية والراحة، لكن كثيرًا من الناس يغفلون عن شكر هذه النعمة العظيمة عند تجددها، ويجعلونها سببًا للرياء والمباهاة.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذا استجد ثوبًا سماه باسمه: عمامة أو قميصًا أو رداءً، ثم يقول:

(١) الحديث، رواه مسلم (١٣٤٢).

«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ»(١)

وعن معاذ بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٢)

فهذه النصوص تبين أن لبس الثوب الجديد عبادة وفرصة للمغفرة إذا صاحبه ذكر ودعاء، لكن أكثر الناس يغفلون، فلا يقولون إلا كلمات دنيوية، أو يفرحون بالثياب فرح المباهاة والتفاخر، وربما جرّهم ذلك إلى الكبر.

أما الموفَّق فهو الذي يستحضر النعمة ويشكر المنعم، فيلبس ثوبه بالحمد والدعاء، فيكتب الله له الأجر والمغفرة.

الفصل الثامن عشر: عند رؤية المبتلى وتجدد النعمة

من نعم الله على عباده أن عافاهم مما ابتلى به غيرهم، ورؤية المبتلى أو تجدد النعمة موطن شكر وذكر، لكنه صار عند كثير من الناس زمن غفلة،

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٢٠) والترمذي (١٧٦٧) وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢/ ٨٥٣).

(٢) رواه أبو داود (٤٠٢٣) وصححه الألباني في «هداية الرواة - مع تخريج المشكاة الثاني للألباني» (٤/ ٢٠٤) وقال: وهو شاهد جيد لحديث أبي سعيد - الذي قبله. اهـ

وقد أورد حديث أبي سعيد الإمام الوادعي في «أحاديث معلة ظاهرها الصحة» (ص١٥٩).

والإمام الألباني صححه بشاهده كما ترى.

فينظرون إلى المبتلى نظر استغراب أو سخرية، أو يفرحون بالنعمة بلا شكر ولا ذكر.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ رَأَى مُبْتَلًى فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلاءُ»(١)

فهذا الذكر عند رؤية المبتلى شكر لله، وتجديد لنعمة العافية، وحرز للعبد من أن يُصاب بمثل ذلك البلاء.

ومع ذلك يغفل عنه أكثر الناس، فيرون المريض أو الفقير أو صاحب البلاء ولا يذكرون الله، وربما وقع بعضهم في الغيبة أو الاستهزاء.

أما الموفَّق فهو الذي يجعل من كل مشهد ابتلاء درسًا لشكر النعمة، فيحمد الله سرًا، ويزداد خشية وإنابة.

الفصل السادس والعشرون: عند الغضب والانفعال

الغضب من أخطر اللحظات التي يسيطر فيها الشيطان على العبد، فيغفل عن ذكر الله، وتزل قدمه في الأقوال والأفعال، وقد يوقعه في الندم العظيم.

ومع ذلك فإن الغضب موطن عبادة إذا استحضر العبد الوصايا النبوية، فكظم غيظه ولجأ إلى ربه.

عن سليمان بن صُرَد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: استب رجلان عند النبي

(١) رواه الترمذي (٣٤٣١) وحسنه الألباني «جامع الترمذي» (٣٤٣٠).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ونحن عنده جلوس، وأحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»(١)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصَّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»(٢)

فالذكر عند الغضب عبادة تغفل عنها أكثر النفوس، إذ يندفع كثير من الناس إلى السب والشتم أو الخصام، وربما الضرب والإيذاء، ويغفلون عن الاستعاذة بالله والسكوت والجلوس كما أوصى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

أما الموفَّق فهو من ملك نفسه عند الغضب، فارتقى بذلك في درجات الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، ونال محبة الله ورضوانه.

(١) رواه البخاري (٣٢٨٢) ومسلم (٢٦١٠).
(٢) رواه البخاري (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩).

الباب الخامس:

أوقات الغفلة في الأسبوع والشهر

إذا كان في الليل والنهار ساعات شريفة يغفل عنها الناس، فكذلك في الأسبوع مواطن مخصوصة اصطفاها الله بفضائل عظيمة.

ويوم الجمعة هو سيد الأيام وأفضلها، فهو عيد الأسبوع، وفيه من النور والرحمة ما ليس في غيره.

ومن أشرف أوقاته أول النهار بعد صلاة الفجر، حيث تجتمع بركة البكور مع شرف اليوم، فيغتنم العبد هذه اللحظات بذكر الله وتلاوة كتابه.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ»(١)

هذا الحديث يبين أن الجمعة هو أشرف أيام الأسبوع، واجتماع فضله مع وقت البكور بعد الفجر يجعله من أعظم الأوقات بركة.

فالموفق من عمّره بالذكر والقرآن والدعاء، لا بالنوم والكسل.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الجمعة:٩].

(١) رواه مسلم (٨٥٤).

الفصل الأول: الجلوس في المسجد يوم الجمعة من الساعة الأولى.

من أعظم الغفلات التي يقع فيها الناس انشغالهم في صباح الجمعة بأمور الدنيا والأسواق، مع أن هذا الوقت من أشرف الأوقات.

وقد رغّب الشرع في التبكير إلى الجمعة والجلوس في المسجد لانتظار الخطبة والصلاة، حتى عدّ ذلك من أعظم القربات.

فالجلوس في المسجد يوم الجمعة من طلوع الفجر أو من أول النهار حتى صعود الخطيب، من المواطن المباركة التي يغفل عنها أكثر الخلق.

والموفّق من سارع إليها فسبق.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غَسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»[1]

هذا الحديث يبين عظيم فضل التبكير، وأن الساعات الأولى من يوم الجمعة ميزان للثواب، وكلما بكر العبد زاد قربه من الله.

وفيه أن حضور المسجد مبكرًا عبادة عظيمة تُكتب له قربات كأضاحٍ

(١) رواه البخاري (٨٨١) ومسلم (٨٥٠).

متوالية، وكون الملائكة تطوي الصحف عند خروج الإمام دليل أن هذا وقت فريد يغفل عنه الناس.

وعن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدْهِنُ مِنْ دُهْنِهِ أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يَنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى»(١)

هذا الحديث يبين أن الجلوس في المسجد قبل الخطبة مع صلاة النافلة والإنصات سبب لمغفرة الذنوب.

وفيه فضل عظيم للطاعات الصغيرة المتتابعة التي يغفل عنها كثير من الناس.

فهو وقت صفاء ومغفرة، ومن جلس فيه عامرًا وقته بالذكر نال بركة الجمعة كلها.

وعن أوس بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ غَسَلَ وَاغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يُلْغِ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ، أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»(٢)

هذا الحديث يبين أن التبكير والجلوس قريبًا من الإمام يضاعف الأجر

(١) رواه البخاري (٨٨٣).

(٢) رواه أحمد (١٧٦٠٤) وأبو داود (٣٤٥) وصححه الألباني «سنن أبي داود» (٣٤٥).

إلى أجر سنة كاملة. وذكر المشي دون الركوب دليل على زيادة القربات في هذه الساعات التي يغفل عنها كثير من الناس.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول:

«إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ»(١)

الغسل هنا شعار التهيؤ المبكر، وهو دليل على أن يوم الجمعة له طابع خاص في الطهارة والتهيؤ، وأن إقبال العبد على المسجد من أول النهار يكون في حال كمال ظاهر وباطن.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ»(٢)

وعن أوس بن أوس الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»(٣).

هذا الحديث أصلٌ في استحباب الإكثار من الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم الجمعة وليلتها، فهي أزكى الأعمال في أفضل

(١) رواه البخاري (٨٧٧) ومسلم (٨٤٤).
(٢) رواه البخاري (٨٧٩) ومسلم (٨٤٦).
(٣) رواه أبو داود رقم (١٠٤٧)، وصححه الألباني في «سنن أبي داود» (١٥٣٠).

الأيام.

وفيه بيان فضل هذا اليوم وخصوصيته، إذ تعرض الصلوات فيه على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو تشريف للأمة وزيادة قرب من نبيها الكريم.

كما أن كثرة الصلاة عليه سبب لمغفرة الذنوب ونيل شفاعته، والموفّق من شغل لسانه بها في هذا اليوم بدل اللغو والغفلة.

الفصل الثاني: ساعة الإجابة يوم الجمعة

يوم الجمعة يوم عظيم خصّه الله بفضائل ليست لغيره من الأيام، ومن أعظمها وجود ساعة مباركة لا يوافقها عبد مسلم قائم يدعو الله إلا استجاب له.

وهذه الساعة من الكنوز المخفية، أرشد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أمته إلى تحريها، لتكون باعثًا لهم على كثرة الدعاء والرجوع إلى الله في يوم الجمعة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لَسَاعَةٍ، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»(١)

هذا الحديث أصل في إثبات ساعة الإجابة يوم الجمعة، وهي ساعة يقين في تحقق الدعاء.

وقد أخفاها الله ليجتهد العبد في الدعاء طول اليوم، كما أخفى ليلة القدر

(١) رواه البخاري (٩٣٥) ومسلم (٨٥٢).

في رمضان.

وعن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قُلْتُ - وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ -: إِنَّا نَجِدُ فِي كِتَابِ اللهِ أَنَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ وَهُوَ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إِلَّا قَضَى لَهُ حَاجَتَهُ.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ بَعْضُ سَاعَةٍ».

قُلْتُ: صَدَقْتَ.

قُلْتُ: أَيُّ سَاعَةٍ هِيَ؟

قال: «هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ»(١)

هذا الحديث يبين أن أرجى أوقات ساعة الإجابة آخر ساعة بعد العصر، حيث يجلس الناس غافلين ينتظرون المغرب، وهي أشبه بوقت السحر آخر الليل.

وهذا الوقت يجتمع فيه ختام اليوم مع دعاء القلب الخاشع، فكان مظنة الإجابة.

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، فِيهَا سَاعَةٌ لَا يُوَجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»(٢)

---

(١) رواه أحمد (٢٣٤١٢) وأبو داود (١٠٤٦) وصححه الإمام الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٤٣٩) وحسنه الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١/ ٤٩٦).

(٢) رواه النسائي (١٣٨٩) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»

زاد هذا الحديث بيانًا وتوكيدًا أن ساعة الإجابة في آخر النهار قبل غروب الشمس.

وهي ساعة يغفل عنها أكثر الناس لانشغالهم بالدنيا، والموفق من جلس يذكر الله ويدعو بدعوات صادقة.

الخلاصة:

ساعة الإجابة ثابتة بنصوص صحيحة قطعية.

أرجح الأقوال أنها آخر ساعة بعد العصر، وهو قول جمهور الصحابة والتابعين.

هي وقت غفلة الناس، والعبد فيها بين يدي الله بالدعاء والذكر.

من لازم الدعاء في هذا الوقت كان حريًّا أن ينال نفحات الجمعة وبركتها.

يبحث كثير من الناس عنها، لكن يغفلون عن الدعاء وقتها، وهي من أعظم أوقات الإجابة وهي فرصة عظيمة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

وهذا عام، لكنه يدخل فيه الدعاء يوم الجمعة دخولًا أوليًا.

(١/ ٤٣٩).

الفصل الثالث: صيام الاثنين والخميس

كما أن الليل والنهار فيهما أوقات شريفة، فإن في أيام الأسبوع مواسم للطاعة يغفل عنها كثير من الناس، ومن أعظمها صيام يومي الاثنين والخميس.

فقد سنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صيامهما لما فيهما من الفضل العظيم، وارتباطهما بأعمال العباد التي تُرفع إلى الله عز وجل، فكان من الموفقين من حافظ عليهما، ليكون عمله معروضًا على الله وهو صائم.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»(١)

فيه أن صيام هذين اليومين عبادة تتوافق مع عرض الأعمال على الله، وهذا شرف عظيم.

فالعبد الصائم حين يُعرض عمله يكون في أكمل أحوال الطاعة والخضوع، وهو معنى لطيف يدل على حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على إظهار العبودية في أفضل الأوقات.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:

«كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ

---

(١) رواه الترمذي (٧٤٧) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٦٠٤).

وَالخَمِيسِ»[١]

هذا الحديث يبين أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يحافظ على صيام هذين اليومين، مما يدل على تأكيد استحبابهما.

ولفظ «يتحرى» يفيد المواظبة والاهتمام، فكأنهما يومان مفضلان من بين سائر الأيام.

وعن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سُئل عن صيام يوم الاثنين فقال:

«ذَلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ فِيهِ، أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ»[٢]

هذا الحديث يوضح سرّ تفضيل يوم الاثنين، إذ هو يوم مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ويوم نزول الوحي عليه.

فكان شكرًا لله أن صامه، وفي ذلك تذكير للمؤمنين بفضل هذا اليوم وبركته.

الفصل الرابع: الأيام البيض من كل شهر

كما أن في الأسبوع يومين مخصوصين بالصيام (الاثنين والخميس)، فقد جعل الله في كل شهر قمري ثلاثة أيام فاضلة تسمى الأيام البيض، وهي أيام يغفل عنها كثير من الناس لانشغالهم بدنياهم.

---

(١) رواه النسائي (٢٣٦٠) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» الصغير وزيادته» (٢/ ٨٨١).

(٢) رواه مسلم (١١٦٢).

وسميت بالبيض لأن القمر يكتمل نورُه فيها، فيكون الليل مضيئًا كاملًا.

ومن وفقه الله لصيامها كان كمن صام الدهر كله، فهي فرصة متجددة كل شهر لاغتنام فضل الصيام.

ما هي الأيام البيض؟

الأيام البيض هي: اليوم الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من كل شهر هجري.

فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَصُمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ»(١)

هذا الحديث صريح في تعيين الأيام البيض، وأنها هي الأفضل لمن أراد صيام ثلاثة أيام من الشهر.

وفيه دلالة على أن اغتنامها سنة مؤكدة، لما فيها من عظيم الفضل.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّه»(٢)

هذا الحديث يبين أن صيام ثلاثة أيام يعدل صيام الدهر كله؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، فالشهر كله يصبح كأنه صيام كامل.

---

(١) رواه النسائي (٢٤٢٣) والترمذي (٧٦١) وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢/ ١٢٩٠).

(٢) رواه البخاري (١٩٧٩) ومسلم (١١٥٩).

وتعيينها بالأيام البيض جاء لزيادة الفضل وخصوصية هذه الليالي المضيئة.

وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلُّه، وَأَيَّامُ الْبِيضِ صَبِيحَةَ الثَّلَاثَةَ عَشْرَةَ، وَالرَّابِعَةَ عَشْرَةَ، وَالْخَامِسَةَ عَشْرَةَ»(١)

هذا الحديث يوضح أن صيام الأيام البيض بالذات هو الأكمل في نيل الأجر، إذ جمع بين الفضل العام لصيام ثلاثة أيام من الشهر والفضل الخاص بضياء هذه الليالي.

الفصل الخامس: صيام شعبان(٢)

شهر شعبان من الشهور التي يغفل عنها كثير من الناس بين رجب ورمضان، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يكثر الصيام فيه أكثر من غيره

---

(١) رواه النسائي (٢٤٢٠) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٦٠٣).

(٢) تنبيه:

لم أذكر هنا فضل النصف من شعبان، لأن الحديث المشهور عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «يَطَّلِعُ اللهُ إِلَى خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ، إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ»

حديث مختلف في صحته، وأكثر أهل العلم على تضعيفه، ومنهم من حسنه بشواهده، لكن لا يثبت فيه شيء تقوم به الحجة.

ولذا لم أفرده بفضل خاص، واقتصرت على ما صحّ من صيام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في شعبان كله.

بعد رمضان.

وهو ميدان للاستعداد لشهر القرآن، وترويض للنفس على الصيام، وفرصة لمحو الغفلة بالذكر والطاعة.

ومن وُفِّق لاغتنامه كان ممهدًا قلبه لاستقبال رمضان بجد ونشاط.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:

«مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ.»(١)

هذا الحديث يبين أن شعبان هو أكثر الشهور التي كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يصومها بعد رمضان، مما يدل على عظم منزلته وخصوصيته، وأنه كان بمثابة تهيئة واستعداد للشهر المبارك.

وعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال:

«ذَلِكَ شَهْرٌ يُغْفَلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»(٢).

هذا الحديث صريح في الحكمة من الإكثار من صيام شعبان، وهي: غفلة الناس عنه، وكونه شهر رفع الأعمال.

وقد أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يكون عمله معروضًا على الله

(١) رواه البخاري (١٩٦٩) ومسلم (١١٥٦).

(٢) رواه النسائي (٢٣٥٧)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٤/ ٥٢٢).

وهو صائم، وهذا أدب عظيم وحرص على القبول.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:

«كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ صَامَ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ أَفْطَرَ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَسْتَكْمِلُ صِيَامَ شَهْرٍ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ»(١)

هذا الحديث تأكيد على أن صيام شعبان كان عادة متكررة، وأنه لم يستكمل شهرًا غير رمضان، لكنه كان يُكثر من صيامه حتى يُظن أنه سيستكمله.

وهذا يدل على محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للصيام في هذا الشهر المبارك.

الفصل السادس: العشر الأوائل من ذي الحجة

الأيام العشر الأولى من ذي الحجة من أعظم أيام الدنيا، أقسم الله بها تعظيمًا لشأنها، وجعلها ميادين للطاعات المتنوعة من صيام وذكر وصدقة وحج وذبح.

وهي أيام يغفل عنها كثير من الناس مع أنها أعظم من غيرها، والعمل الصالح فيها أحب إلى الله من العمل في سائر الأيام.

والموفق من بادر فاغتنمها قبل فواتها.

قال الله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [سورة الفجر: ١-٢].

(١) رواه مسلم (١١٥٦).

قال جمهور المفسرين: هي عشر ذي الحجة.

أقسم الله بها، ولا يقسم سبحانه إلا بعظيم.

فدلّ ذلك على علو شأن هذه الأيام، وأنها من أعظم مواسم الطاعة.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلِ الصَّالِحِ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟

قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»(١)

هذا الحديث أصل في بيان فضل العشر، إذ جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ العمل الصالح فيها أحب إلى الله من الجهاد، إلا الجهاد الذي هو بذل النفس والمال حتى الموت.

فهو دليل على عظم مكانتها ووجوب اغتنامها.

هي من أعظم الأيام فضلًا، لكنها تُغفل عند كثير من الناس إلا يوم عرفة.

قال الله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج:٢٨].

قال المفسرون: هي عشر ذي الحجة.

(١) رواه البخاري (٩٦٩).

الفصل السابع: الأشهر الحرم

اختصّ الله بعض الأزمنة بزيادة الفضل والشرف، فجعل منها الأشهر الحرم التي حُرِّم فيها القتال، وأكدت فيها حرمة المعاصي وعُظم فيها أجر الطاعة.

وهي أربعة أشهر عظيمة، يغفل الناس عن تعظيمها والقيام بحقها، مع أن الله سبحانه نصّ على شرفها في كتابه.

والموفق من عظّم ما عظّمه الله، فجعلها مواسم إقبال وترك للذنوب، وميادين للأعمال الصالحة.

فما هي الأشهر الحرم؟

جاء عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«السَّنَةُ اثنا عَشَرَ شَهْرًا[1]، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ: ثَلاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ هِيَ: ذُو

(١) وهي:

الأول: «**محرم**» سُمي بذلك لأنه شهر محرم الحرام، وكان العرب يحرمون فيه القتال.

الثاني: «**صفر**» قيل إنه سُمي بذلك لأن البيوت كانت تخلو من أهلها عندما يخرجون للحرب والأسفار.

الثالث والرابع: «**ربيع الأول وربيع الآخر**» سُمّيتا بذلك لأنهما تأتيان في فصل الربيع.

الخامس والسادس: «**جمادى الأولى وجمادى الآخرة**» سُمّيتا بذلك لأنهما كانتا تأتيان في الشتاء حين تجمد المياه.

السابع: «**رجب**» سُمي بذلك لأنه شهر محرم آخر، وكان العرب "يرجبون" فيه رماحهم أي ينزعون النصل منها تحريمًا للقتال.

الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرِ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ»(١)

هذا الحديث يوضح أن هذه الأشهر ثابتة لا تتغير بتبديل العرب للأنساب أو النسيء، فهي محكمة من عند الله.

وفيه بيان أن تعظيمها من الدين المستقيم الذي لا يقبل الله غيره.

فالأشهر الحرم هي: ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم، رجب.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة التوبة: ٣٦].

الآية نص صريح على تحريم ظلم النفس بالمعاصي في هذه الأشهر، أي أن الذنب فيها أعظم وزره، كما أن الطاعة فيها أعظم أجرها.

وهو تأكيد لحرمتها ووجوب تعظيمها.

الثامن: «**شعبان**» سُمي بذلك لأن العرب كانوا يتشعبون فيه لطلب الماء أو للقتال بعد امتناعهم في رجب.

التاسع: «**رمضان**» سُمي بذلك لأنه كان يأتي في الحر الشديد (الرمضاء)، وقيل لأنه "يرمض" الذنوب أي يحرقها.

العاشر: «**شوال**» سُمي بذلك لأن الإبل تشول (ترفع) بأذنابها طلبًا للضراب، وقيل لانتظار النساء الحمل بعد النفاس.

الحادي عشر: «**ذو القعدة**» سُمي بذلك لأن العرب كانوا يقعدون فيه عن القتال.

الثاني عشر: «**ذو الحجة**» سُمي بذلك لأنه شهر الحج.

(١) رواه البخاري (٤٦٦٢) ومسلم (١٦٧٩).

الأشـــهر الحرم من مواطن الطاعة، لكن كثيرًا من الناس يغفلون عن خصوصيتها.

فإحياء هذه الأشهر بالصوم والذكر عبادة مغفول عنها.

الفوائد التربوية لهذا الباب

١- الأسبوع والشهر فيهما مواطن كثيرة للغفلة، والموفق من استثمرها.

٢- يوم الجمعة بجميع ساعاته من أعظم المواطن.

٣- الصيام في أيام مخصوصة (الاثنين، الخميس، الأيام البيض، شعبان) عبادة مغفول عنها.

٤- العشر من ذي الحجة أعظم أيام الله، يغفل الناس عنها.

٥- الأشهر الحرم مجال عظيم لزيادة الطاعة.

الباب السادس:

أوقات الغفلة في العام كله

كما أن في الليل والنهار ساعات يغفل عنها الناس، فكذلك في العام مواسم يمرّ عليها الكثيرون بغير التفات، مع أنها من أعظم الأوقات بركة وفضلًا.

وقد دلّت النصوص على أن اغتنام هذه الأزمنة سمةُ الخواصّ من عباد الله، إذ يسبقون فيها إلى الطاعات بينما يلهو غيرهم.

فمن وُفّق لمعرفتها والعمل فيها فقد أُعطي مفاتيح الخير، ونال نصيبًا وافرًا من الأجر.

والسنة مليئة بمواسم الخيرات، لكن أكثر الناس يغفلون عنها، أو لا يفقهون ما فيها من كنوز الطاعة، فيمر عليهم العام وقد ضيّعوا أوقاتًا نفيسة، والموفق من تنبه لها واغتنمها.

الفصل الأول: العشر الأواخر من رمضان

كثير من الناس إذا أقبل رمضان بادروا إلى الطاعات، فتراهم في أوائله مقبلين على الصلاة والقيام وتلاوة القرآن، وكأن النفوس اندفعت بحماس البداية، لكن ما يلبث هذا النشاط أن يضعف مع امتداد الأيام، فيفترون شيئًا فشيئًا، حتى إذا دخلت العشر الأواخر – وهي أشرف ليالي الشهر، بل هي تاجه وزينته – وجدنا عند كثير منهم غفلة وتقصيرًا.

وربما صرفوا أوقاتهم في الأسواق، أو أضاعوها في اللهو والسهر على المباحات والملهيات، مع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يجعل هذه العشر محل الاجتهاد الأعظم، ويشد فيها مئزره ويحيي ليله ويوقظ أهله.

ولهذا كان الخاسر حقًا من أضاع خواتيم الشهر، فالعبرة بالخواتيم، ومن وفقه الله للجد والاجتهاد في هذه الليالي فقد أدرك أعظم بركة رمضان، ونال فرصة لا تعوض إلا بعد عام آخر، ولا يدري هل يدركه أو لا.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:

«كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ»(١)

وفي رواية أخرى عنها قالت:

«كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ»(٢)

فهذا يدل على أن العشر الأواخر هي محلّ الاجتهاد الأكبر، إذ العبرة بالخواتيم، ومن وفقه الله لإحياء لياليها فقد فاز بالبركة كلها.

وفيها ليلة القدر التي قال الله تعالى عنها: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر:٣].

أي أن العبادة فيها خير من عبادة ثلاث وثمانين سنة، وهي ليلة عظيمة

(١) رواه البخاري (٢٠٢٤) ومسلم (١١٧٤).
(٢) رواه مسلم (١١٧٥).

أنزل الله فيها القرآن، وتنزل فيها الملائكة بالبركة والرحمة.

قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [سورة القدر: ٤-٥].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(١)

وهذا فضل عظيم لا يعدله عمل، إذ مغفرة الذنوب مقصد كل مؤمن.

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يعتكف هذه العشر طلبًا لليلة القدر؛ فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:

«كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ»(٢)

فهذا دليل على أن الاعتكاف سنة مؤكدة في هذه العشر، وهو أبلغ صور الانقطاع إلى الله.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: قُلتُ: يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَرَأَيْتَ إن وافَقْتُ لَيْلَةَ القَدْرِ ماذا أقولُ؟

قالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»(٣)

فهو دعاء جامع يناسب المقام، إذ أن العبد أحوج ما يكون إلى عفو الله في هذه الليالي المباركة.

---

(١) رواه البخاري (١٩٠١) ومسلم (٧٦٠).

(٢) رواه البخاري (٢٠٢٥) ومسلم (١١٧١).

(٣) رواه الترمذي (٣٥١٣) وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣١٠٥)

إن العشر الأواخر هي ختام الشهر، وخير ما يُختم به رمضان، فمن وفّقه الله لإحيائها بالصلاة والقرآن والدعاء، فقد فاز فوزًا عظيمًا، ومن غفل عنها فقد حُرم الخير كله، ولا يدري هل يدرك رمضان آخر أم لا.

رمضان موسم عظيم تُفتح فيه أبواب الرحمة، وتُضاعف فيه الحسنات، وتُعتق فيه الرقاب من النار.

ومن غفلة كثير من الناس أنهم يجتهدون في أوائله وأوسطه، فإذا جاءت آخر لحظاته غفلوا وانشغلوا بالأسواق أو الاستعداد للعيد

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»(١)

وعن سهل بن سعد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ»(٢)

هذا أصل عظيم يبيّن أن العبرة ليست بكثرة العمل في أوله، وإنما بكماله في آخره، فمن أحسن ختام رمضان فقد أحسن موسمه كله.

---

(١) رواه الترمذي (٦٨٢) وصححه الألباني في «جامع الترمذي» (٦٨١).

(٢) روا البخاري (٦٦٠٧) ومسلم (١١٥)

وهذا الحديث يضع قاعدة كبرى في الدين، وهي أن الميزان عند الله يكون بالخواتيم لا بالمظاهر ولا بالبدايات.

فقد يعمل المرء عملًا طويلًا، ثم يسيء في آخره فيخسر ما سبق، وقد يقصّر ثم يُحسن ختامه فيغفر الله له ما مضى.

ولهذا كان الصالحون يخافون من سوء الخاتمة، ويجتهدون أن يختموا حياتهم وعملهم على طاعة.

وفي رمضان يتأكد هذا المعنى، فالعبرة ليست بكثرة القيام في أوله فقط، بل بحسن الختام في آخره.

فمن ختم الشهر بالاستغفار والدعاء والطاعات، رُجي له أن يقبل الله صيامه وقيامه كله.

فإذا كان العتق من النار كل ليلة، فأرجى ما يكون ذلك عند آخر ليلة من رمضان؛ لأن الله كريم يجود بالخواتيم. فهي ساعة غفلة كثير من الناس وانشغالهم بالعيد، لكنها ساعة رجاء للعتق والمغفرة.

حال الناس اليوم

١- في آخر أيام من رمضان ترى كثيرًا من الناس في غفلة:

٢- ينشغلون بالتجهيز للعيد والأسواق حتى تضيع منهم لحظات الوداع.

٣- يقضون الأوقات في المزاح واللغو بدل الذكر والدعاء.

٤- ينهمكون في الطعام والشراب استعدادًا للعيد وكأن رمضان انتهى

بلا عبرة.

٥- يغفل بعضهم عن صلاة المغرب، ويؤخرها أو يخرجها عن وقتها في الزحمة.

إنها غفلة عظيمة أن يُفرّط المرء في آخر لحظة من رمضان، مع أن النفحات فيها قد تكون سببًا لقبول عمل الشهر كله.

فالموفق من ختم رمضان بالاستغفار، والدعاء، والابتهال إلى الله أن يتقبله منه، لا بالأسواق ولا بالملهيات. فالعبرة بالخواتيم، ومن أصلح آخره أصلح الله له ما مضى.

الفصل الثاني: ليلة القدر في أيام العشر

ليلة القدر من أعظم ليالي العام وأشرفها على الإطلاق، أنزل الله فيها القرآن، ورفع فيها ذكر هذه الأمة، وجعل العمل الصالح فيها خيرًا من عمل ألف شهر.

هي ليلة يفتح الله فيها أبواب رحمته، وينزل ملائكته بالبركة والسكينة، ويكتب فيها الأقدار.

وقد أخفاها سبحانه في العشر الأواخر من رمضان ليجتهد المؤمن في طلبها بالقيام والدعاء، فهي تاج مواسم العام، وغاية همم العابدين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [سورة القدر: ١-٥].

بيّن الله في هذه السورة مكانة ليلة القدر، وأنها تعدل عبادة عمر طويل يزيد على ثلاث وثمانين سنة.

وفيها نزول الملائكة بالرحمة والأمان، فهي ليلة سلام وبركة حتى مطلع الفجر.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(١)

هذا الحديث أصل في فضل قيامها، إذ يكفي أن يقومها العبد مخلصًا لله حتى يُغفر له ما مضى من ذنوبه. وهذا يبين سعة رحمة الله وكرمه في هذه الليلة المباركة

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:

«كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ»(٢)

فهذا يدل على شدة عناية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بهذه العشر، لما فيها من فضل عظيم.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، مَاذَا أَقُولُ فِيهَا؟

قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»(٣)

(١) رواه البخاري (١٩٠١) ومسلم (٧٦٠).

(٢) رواه البخاري (٢٠٢٤) ومسلم (١١٧٤).

(٣) رواه الترمذي (٣٥١٣) وصححه الألباني في «جامع الترمذي» (٦٨١).

هذا الحديث يدل على أن خير ما يدعى به في ليلة القدر هو سؤال العفو، لأنه يجمع المغفرة والرحمة والستر. وهو دعاء جامع لحاجة كل مؤمن.

فهذه الليلة أشرف ليلة في العام، ومع ذلك يغفل عنها أكثر الناس لانشغالهم أو لعدم صبرهم على القيام.

قال الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر:٣].

فالعبادة فيها أفضل من عبادة ثلاث وثمانين سنة.

ومع كل هذا الفضل العظيم، ترى الغفلة قد سيطرت على كثير من الناس؛ فمنهم من يسهر على اللهو واللغو، ومنهم من يضيّع وقته في الأسواق، ومنهم من يترك القيام والذكر بحجة التعب والانشغال، فتفوته ليلة القدر وهو لا يشعر.

وقد كان السلف يستعدون لهذه الليالي بالاغتسال والتطيب، رجاء أن يصادفوها في أنشط حال.

فشتان بين من يتهيأ للقاء ربه في ليالٍ هي خير من ألف شهر، وبين من يضيعها في الغفلة واللهو.

حال الناس اليوم مؤلم!

ومع عظم هذا الفضل، نجد كثيرًا من الناس في غفلة عظيمة، يضيعون هذه الليالي المباركة فيما لا ينفع، بل فيما يضر ويهلك:

السهر على المسلسلات والأفلام التي تُبث ليلًا، وفيها من الفتن ما يميت القلب ويضيع العمر.

كم من مسلم يودّ أن يعتكف بين يدي الله فإذا به يعتكف أمام شاشة تبث الفجور والمجون وتيضع العمر والوقت.

متابعة المباريات الرياضية ساعات طويلة، مع صياح وجدال، وربما خصام وسباب، حتى تفوت الصلوات أو تُصلّى بغير خشوع، وينسى العبد أن الليلة قد تكون ليلة القدر.

الإدمان على الألعاب الإلكترونية التي تحبس الشباب والفتيان حتى مطلع الفجر، فيخرج أحدهم من لعبته منهكًا بلا قرآن ولا دعاء، وقد ضيّع أغلى لحظات عمره.

الجلوس في مقاهي الإنترنت أو قضاء الساعات على الدردشات ومواقع الفساد، يملأ القلب شتاتًا ويزيده بعدًا، بدل أن يعمّره بذكر الله والتقرب إليه.

قضاء الليالي في الأندية والمنتزهات، بالضحك واللغو والاختلاط، وكأن هذه العشر كسائر الأيام، فلا يعرفون لها قدرًا ولا يوقرونها كما ينبغي.

متابعة الأخبار السياسية أو برامج اللهو حتى الصباح، يتنقلون بين قنوات الجدال واللغو، فتُذهب صفاء القلب وتملؤه بالقلق والحزن، ولا يذكرون أن القرآن أنزل في ليلة القدر هدى ورحمة.

الانغماس في وسائل التواصل بين جدل، وسخرية، وصور محرمة، وغيبة ونميمة، حتى إذا انقضى الليل وجد نفسه صفر اليدين من الحسنات، مثقلًا بالسيئات.

نوم أكثر الليل والكسل عن القيام، حتى إذا أذن الفجر قاموا متثاقلين،

وقد فاتهم من الخير ما لا يعوض بعمر كامل.

إنها غفلة كبرى أن يشتغل العبد بالملاهي والمنكرات في ليالٍ أقسم الله بفضلها، وجعلها خيرًا من ألف شهر.

أيعقل أن يبيع العاقل ليلة القدر - التي تساوي ثلاثًا وثمانين سنة من الطاعة - بمباراة لا وزن لها عند الله، أو فيلم لا يورث إلا الحسرة، أو لعبة إلكترونية لا تزيده إلا لهوًا؟!

يا حسرة على أقوام يجلسون في المقاهي والمنتزهات يملأون أسماعهم بالغناء، وأبصارهم بالمنكرات، وأوقاتهم بالضحك واللغو.

بينما السابقون قائمون بين يدي الله بالقرآن والركوع والسجود.

ويا خسارة من بدّل الذكر والقيام بسهر على القنوات والهواتف!

هذا الذي يريده أعداء الإسلام،

قال الله ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [سورة النساء: ٢٧-٢٨].

الله سبحانه يريد لعباده التوبة والرجوع إليه، فلا يغلق باب التوبة أبدًا ما دام العبد حيًّا.

أما أهل الشهوات وأهل الباطل، فيريدون أن ينحرف الناس معهم ويقعوا في الفتن ليكونوا سواءً في الضياع.

ثم بيّن سبحانه أن تشريعه رحمة، فهو يريد أن يخفف عن عباده، لأن

الإنسان ضعيف أمام الشهوات والفتن، فلا يقوم إلا بعون الله.

وهذا يوافق تمامًا حال الناس في زمننا:

الله يريد لنا أن نغتنم العشر الأواخر وليلة القدر لنفوز بالمغفرة، بينما الملهيات من مسلسلات، وأفلام، وألعاب، ومباريات، وأهل الشهوات يريدون صرفنا عنها لنسقط في الغفلة.

ليلة القدر فرصة قد لا يدركها الإنسان في عمره إلا مرة، ومن حُرمها فقد حُرم الخير كله.

إن الموفق من جاهد نفسه، وترك الملهيات، واغتنم دقائق الليل بذكر الله، واعتزل أسباب الغفلة، ليفوز بالرضوان والمغفرة.

الفصل الثالث: قبل الإفطار في رمضان

من أعظم لحظات رمضان تلك الدقائق التي تسبق أذان المغرب، حيث يشتد عطش الصائم وجوعه، ويكون في غاية التذلل والانكسار بين يدي الله.

وهي ساعة يفتح الله فيها أبواب الإجابة، ويجعل الدعاء فيها مستجابًا.

غير أن كثيرًا من الناس يغفلون عنها، فينشغلون بالطعام والشراب والتجهيز، بدل أن يرفعوا أيديهم بالدعاء والابتهال.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ»(١)

هذا الحديث أصل في بيان فضل دعاء الصائم، فهو عام في جميع أيام

(١) رواه البيهقي في الشعب (٦٦١٨) وحسنه الألباني في «الجامع الصغير» (٥٣٤٣).

الصيام، إذ حال الصائم كله عبادة وانكسار، ودعاؤه مرجو الإجابة.

غير أن أرجى الأوقات هو وقت الإفطار، لأنه وقت إظهار العبودية بكمال الضعف والحاجة، فيجتمع فيه الصوم والدعاء والإجابة.

وقد يدخل في هذا العموم حديث: «إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد»، وإن كان بعض العلماء حملوه على عيد الفطر، لكن لا مانع أن يشمل كل فطر في رمضان.

فكل لحظة إفطار هي مظنة للعتق والمغفرة، والدعاء فيها أجمع للقلب وأقرب للقبول.

فالسعيد من اغتنم عموم الزمان، وخصّص وقت الفطر بالدعاء، فجعل له نصيبًا من خيري الدنيا والآخرة.

خصّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دعوة الصائم بالقبول، لأنها تخرج من قلب منكسر، قد ترك شهواته لله، فكان جديرًا بالإجابة.

حال الناس اليوم:

كثير من الناس يقضون الدقائق الأخيرة قبل المغرب في إعداد الطعام والانشغال بالمائدة.

آخرون يضيعونها بالضحك والحديث والجدال، وربما بالغفلة أمام التلفاز أو الهاتف.

قلّ من ترى يرفع يديه بالدعاء في هذه الساعة العظيمة، وكأنها وقت عادي كسائر الأوقات.

الفصل الرابع: ستة أيام من شوال

بعد أن يفرغ المسلم من صيام رمضان، يكون قد أدى فريضة عظيمة، لكن رحمة الله وسعت كل شيء، ففتح له بابًا آخر من النوافل ليرتقي به في درجات القرب، وهو صيام ستة أيام من شوال.

فهي بمثابة تمام لصيام السنة كلها، كما جاء في النص الصحيح، غير أن كثيرًا من الناس يغفلون عنها، أو يتثاقلون في صيامها بحجة التعب من رمضان، أو ينشغلون في العيد وأيامه، فتفوتهم فضيلة لا تُعوض.

فعن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»(١)

فهذا الحديث أصل في فضلها، إذ بيّن أن صيام رمضان يعادل صيام عشرة أشهر (لأن الحسنة بعشر أمثالها)، فإذا ضم إليها ستة أيام من شوال كان المجموع كصيام سنة كاملة. ومن داوم على ذلك في كل عام فكأنما صام الدهر كله.

ومع هذا الفضل الواضح، نرى الغفلة قد غلبت على كثير من المسلمين؛ فمنهم من ينصرف بعد رمضان إلى اللهو والراحة، وكأن موسم الطاعة قد انتهى.

ومنهم من يظن أن العبادة محصورة في رمضان فقط، فيضيع فرصة نادرة

(١) رواه مسلم (١١٦٤).

لا تستغرق سوى ستة أيام.

ولهذا كان بعض السلف يسمونها جبراً للنقص، كما تُجبر السنن الرواتب ما يقع في الفريضة من خلل.

إن التوفيق لصيام ستة أيام من شوال علامة قبول لصيام رمضان؛ إذ الحسنة تدعو إلى أختها.

ومن ذاق حلاوة الطاعة في رمضان لا يرضى أن يودّعها سريعًا، بل يواصل السير بزاد من النوافل.

فالموفق من بادر إليها، والغافل من ضيعها وهو يقدر عليها.

قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [سورة الزلزلة:٧-٨].

إن كثيرًا من الناس إذا جاء شوال انشغلوا بأيام العيد والزيارات واللقاءات، حتى يمر عليهم الأسبوع الأول وربما أكثر وهم في لهو وانبساط، ثم يستثقلون الصيام بعد ذلك، حتى ينقضي الشهر كله ولم يصوموا الست أو صاموا بعضها.

وهكذا غلبت الغفلة على قلوبهم، فجمعوا بين فوات الأجر والحرمان، وبين التسويف والتقصير.

ولو أنهم تذكروا أن هذه الأيام الست يسيرة وقريبة، وأنها تساوي في الأجر صيام سنة كاملة، لبادروا إليها بعد العيد مباشرة، حرصًا على اغتنام الوقت قبل حلول الفتور.

فالموفق من بادر إلى صيامها، وجعلها تتمةً لرمضان، وجبرًا لنقص صيامه، والغافل من ضيعها وهو قادر عليها، ثم ندم حيث لا ينفع الندم.

الفصل الخامس: يوم عرفة لغير الحاج

يوم عرفة من أعظم أيام العام، وهو الركن الأعظم في الحج، حيث يقف الحجاج على صعيد عرفات ضارعين إلى الله.

لكنه ليس خاصًا بالحاج وحده، بل جعل الله فيه فضائل عظيمة لغير الحاج أيضًا، ومن أعظمها صيامه، وكونه يوم مغفرة وعتق، وإجابة دعاء.

ومن غفل عن هذا اليوم فقد فاته من الخير ما لا يدركه في سائر أيام عمره.

فعن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سئل عن صوم يوم عرفة فقال:

«يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ»(١)

هذا الحديث صريح في فضل صيام يوم عرفة لغير الحاج، إذ يكفر ذنوب سنتين كاملتين، وهذا فضل لا يساويه عمل آخر من النوافل.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ»(٢)

يبين هذا الحديث عِظم يوم عرفة، وأنه يوم العتق الأعظم، حيث يجود

---

(١) رواه مسلم (١١٦٢).

(٢) رواه مسلم (١٣٤٨).

الله برحمته على عباده بالمغفرة والنجاة من النار وهذا الفضل خاص بأهل عرفة. فيبين هذا الحديث عِظم يوم عرفة، وأنه يوم العتق الأعظم، حيث يجود الله برحمته

على عباده بالمغفرة والنجاة من النار.

وهذا الفضل أخصّ ما يكون بأهل الموقف في عرفة، فهم في أشرف مكان وزمان، فلا يليق أن يضيعوا ساعات هذا اليوم العظيم فيما لا ينفع.

وللأسف ترى كثيرًا من الحجاج يشغلون أنفسهم بالبحث عن الطعام والشراب، أو بالمأكل والمشرب، أو بالنوم والراحة، أو بالخروج هنا وهناك، حتى تمر عليهم الساعات الغالية وهم في غفلة.

والموفق من شغل وقته بالدعاء، ورفع الأكف بالتضرع، والإكثار من التهليل والتكبير والتوحيد، فإنه يوم لا يعوض ولا يتكرر إلا مرة في العمر.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير»[١]

فيه بيان أن يوم عرفة هو أشرف أيام الدعاء، وأن أفضل ما يُقال فيه كلمة التوحيد، فهي أساس القبول، وهي دعوة الأنبياء جميعًا.

يوم عرفة الموفق من اغتنمه بالصيام والدعاء والذكر، ولم يضيعه في

(١) رواه الترمذي (٣٥٨٥) وحسنه الألباني في «جامع الترمذي» (٣٥٨٣).

اللهو والغفلات.

الحجاج منشغلون بالموقف، وأكثر الناس في بلادهم يغفلون عن صيامه واغتنامه.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [سورة الفجر: ١-٢].

قال ابن عباس: هي عشر ذي الحجة.

الفصل السادس: أيام التشريق

أيام التشريق - وهي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة - من أعظم الأيام التي يغفل عنها الناس بعد انقضاء يوم النحر.

وكثير منهم يحسبها مجرد أيام أكل ولهو، مع أنها أيام ذكر لله تعالى.

فعن نبيشة الهذلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ لِلَّهِ»(١)

فالمقصود بالأكل والشرب إظهار النعمة والسرور بالعيد، لا الغفلة والتبذير، والمقصود بالذكر التكبير بعد الصلوات وفي سائر الأوقات.

لكنها عند كثير من الناس لا تكاد تُرى إلا في اللهو والرحلات والغفلات، حتى تمر الأيام المباركة دون ذكر لله ولا شكر على النعمة.

إنها أيام عظيمة تُختم بها العشر الأوائل من ذي الحجة، وهي فرصة لاغتنام الذكر والشكر، فمن أضاعها فقد أضاع آخر مواسم العام المباركة.

---

(١) رواه مسلم (١١٤١).

الفصل السابع: يوم عاشوراء

يوم عاشوراء من أعظم أيام الله، وهو اليوم العاشر من شهر الله المحرم، أول شهور السنة الهجرية، وهو يوم له شأن عظيم في تاريخ الأنبياء؛ وهذا اليوم مع عظيم فضله وتكفيره لذنوب سنة كاملة، ترى الغفلة قد غلبت على أكثر الناس، فانشغلوا فيه باللهو واللعب، أو جعلوه يوم أطعمة وحلويات، أو تقليدًا لطقوس مبتدعة لا أصل لها(١)، وتركوا المقصود الأعظم وهو الصيام والذكر والشكر لله.

فمن أضاعه فقد حُرم خيرًا كثيرًا لا يُدرك في سائر العام، ومن وفقه الله لصيامه بنيّة صادقة فقد أدرك كنزًا عظيمًا من المغفرة.

فالواجب على المسلم أن يستشعر فضل هذا اليوم، وألا يكون من الغافلين الذين تمر عليهم الساعات ولا يعرفون قيمتها، بل يشكر الله بالصيام ويكثر من ذكره، فإنه يوم لا يعوّض إلا بعد عام كامل، والعمر

---

(١) كما يفعل الشيعة الروافض – قبّحهم الله – فإنهم ما قصدوا بهذا اليوم ما قصده نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الصيام شكرًا لله على نجاة موسى عليه السلام، ولا ما ثبت من فضائل شرعية، وإنما جعلوه موسم غلوّ وضلال، إذ اتخذوه ميدانًا للعويل واللطم وضرب الرؤوس والظهور، وإظهار الحزن والجزع، بزعمهم مواساةً للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
والحقيقة أنهم هم الذين خذلوه وتخلّوا عنه يوم احتاج إليهم، ثم جعلوا يوم مقتله مناحةً لا تنقطع، بدل أن يكون يوم عبادة وصيام.
فابتدعوا بدعًا ما أنزل الله بها من سلطان، وتركوا ما شرعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الصيام والذكر والشكر.

قصير.

فعن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»(١)

هذا الحديث صريح في فضل صيام يوم عاشوراء، إذ يكفر ذنوب سنة ماضية كاملة، وهو فضل عظيم لا يعدله عمل آخر من النوافل.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟»

قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، نَجَّى اللهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى.

فَقَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ، فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ» (٢).

يبين هذا الحديث أن صيام عاشوراء ليس مجرد عادة، بل هو شكر لله على إنجاء موسى عليه السلام، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أقرّ فضله وشرع صيامه لهذه الأمة.

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يحب أن يخالف اليهود في عباداتهم، فقال: «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ»(٣)

فالسنة أن يُصام عاشوراء ومعه التاسع، مخالفةً لليهود.

---

(١) رواه مسلم (١١٦٢).

(٢) رواه البخاري (٢٠٠٤) ومسلم (١١٣٠).

(٣) رواه مسلم (١١٣٤) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ويوم عاشوراء الموفق من اغتنمه بالصيام والذكر والشكر، ولم يضيعه في الغفلات.

فهو يوم يكفّر ذنوب سنة كاملة، وهو فرصة لمن قصّر في العام كله أن يبدأ عامًا جديدًا بالعبادة والتوبة.

لكن كثيرًا من الناس غفلوا عن صيامه، أو جعلوه يوم طعام ولهو، وتركوا أعظم ما فيه من القربات. والسعيد من اغتنمه بالصيام شكرًا لله، ومتابعةً لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

الفصل الثامن: المحرم أول العام الهجري

شهر الله المحرم هو فاتحة العام الهجري، وقد خصّه الله بفضائل عظيمة، فجعل صيامه من أفضل الأعمال بعد رمضان، وهو شهر عظيم تُفتتح به السنة، ليبدأ المؤمن عامه بالقربات لا بالغفلات.

لكن أكثر الناس يقبلون على العام الجديد بلا عبادة ولا ذكر، بل بالانشغال بعادات وأعراف أو لهو ولعب، حتى كأن المحرم عندهم كسائر الشهور.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّم، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»(١)

فهذا يدل على أن صيام المحرم هو أفضل الصيام التطوعي في السنة

(١) رواه مسلم (١١٦٣).

كلها بعد رمضان، لأنه شهر أضافه الله إلى نفسه تشريفًا، فقال: شهر الله.

ومن أعظم أيامه يوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر منه، وقد تقدّم ذكر فضله، وأن صيامه يكفّر سنة ماضية.

وفي هذا الشهر يتأكّد على المسلم أن يفتتح عامه الجديد بالتوبة والرجوع إلى الله، حتى تكون بداية سنته خيرًا وبركة.

ومع هذا الفضل، يغفل أكثر الناس عن شهر الله المحرم، فلا يعرفون له منزلة، ولا يخصّونه بشيء من الطاعات.

بل ربما جعلوا استقبال العام الهجري موسمًا للبدع والاحتفالات التي لم يأت بها الشرع[١]، أو موسمًا للأغاني واللهو، متناسين أن العمر يتناقص، وأن بداية كل عام إنما تعني قرب النهاية واقتراب الأجل.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**يا ابن آدم، إنما أنت أيام، فإذا ذهب يومك ذهب بعضك**».

---

(١) ومن أشهر تلك البدع: ما أحدثه بعض الناس من تخصيص ليلة أول المحرم أو ليلة رأس السنة الهجرية بصلاة أو دعاء جماعي أو أذكار مخصوصة لم تثبت، أو إقامة احتفالات ومواكب للتوديع والاستقبال، أو كتابة ما يسمونه «دعاء آخر العام» و«دعاء أول العام».

وكل هذا لم يرد فيه حديث صحيح، بل هو من محدثات الأمور. وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه. وقد نبه العلماء – كابن رجب وابن حجر وغيرهما – أن تخصيص أول العام بشيء من العبادات لا أصل له، وإنما المشروع أن يفتتح المسلم عامه بالتوبة والطاعة والعمل الصالح عمومًا، دون التقيّد بعبادة مبتدعة.

إن الحكمة من مطلع العام أن يكون فرصة لتجديد العهد مع الله، وفتح صفحة جديدة بالطاعة، لا أن يزداد المرء غفلة.

فمن اغتنم شهر الله المحرم بالصيام والذكر والدعاء، فقد استفتح عامه بخير، ومن غفل عنه فقد بدأ سنته على خسارة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة التوبة:٣٦].

والمحرم أحد هذه الأشهر الحرم، التي حُرّم فيها الظلم والمعاصي، فتضاعف فيها السيئات كما تضاعف الحسنات.

الفصل التاسع: مواسم المطر

المطر آية من آيات الله، ونعمة عظيمة ينزلها على عباده حياةً للأرض بعد موتها، ورحمةً وفضلًا، وهو من مواطن استجابة الدعاء التي يغفل عنها كثير من الناس.

فإذا انهمرت قطراته، تفتحت أبواب السماء، فكان جديرًا بالمسلم أن يرفع يديه بالدعاء، ويستحضر أن هذا وقت إجابة، لا أن ينشغل بالضحك واللهو والتفرج فحسب.

فعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«ثِنْتَانِ مَا تُرَدَّانِ الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ وَتَحْتَ الْمَطَرِ»(١)

فهذا الحديث يبين أنه عند نزول المطر مظنة قبول الدعاء، كما أن الأذان مظنة لذلك، فكيف يغفل مؤمن عن هذه الفرصة النادرة؟

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَطَرٌ فَحَسَرَ ثَوْبَهُ حَتَّى أَصَابَهُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟

قَالَ: «لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى»(٢)

وفيه دليل على استحباب التعرض لأول المطر، تواضعًا لله وشكرًا لنعمته.

وكان من هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يقول إذا نزل المطر:

«اللَّهُم صَيِّبًا نَافِعًا»(٣)

فهو دعاء جامع بالبركة والنفع، لا بالضرر ولا بالهدم.

ومع ذلك ترى كثيرًا من الناس إذا نزل المطر انشغلوا باللهو واللعب في الطرقات، أو بالمزاح والسهر، وربما تضايق بعضهم من نعمة الله، وجعلوها سببًا للسب واللعن وضجر النفوس، أو للجلوس على المقاهي والهواتف، وتركوا الدعاء في وقت هو من أرجى مواطن الإجابة.

وهذه هي الغفلة الكبرى: أن يفتح الله للعبد بابًا من رحمته، فيغلقه هو

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٤٠) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ١١٣).

(٢) رواه مسلم (٨٩٨).

(٣) رواه البخاري (١٠٣٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

بيده.

إن مواسم المطر تذكير للعبد بقدرة الله ورحمته، فالموفق من شكر ربه بالدعاء والذكر، والغافل من استقبل القطر باللغو واللهو.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى:٢٨].

الفصل العاشر: أوقات الرياح

الرياح من آيات الله التي يسوق بها رحمته أو عذابه، وهي تذكير للناس بقدرة الله وعظمته، وكان هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عند هبوبها اللجوء إلى الدعاء، طلبًا للخير واستعاذة من الشر.

فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت:

«كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أَرْسَلْتَ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أَرْسَلْتَ بِهِ»[١]

لكن كثيرًا من الناس اليوم إذا عصفت الرياح، لم يزدادوا إلا لعبًا وضحكًا أو تصويرًا وتفرجًا، أو خوفًا طبيعيًا بلا رجوع إلى الله، في حين أن المشروع هو الدعاء والتضرع.

فالموفق من جعل الرياح باب ذكر وعبادة، والغافل من اكتفى بالنظر إليها غافلًا عن ربها.

---

(١) رواه مسلم (٨٩٩).

الفصل الحادي عشر: أوقات الفتن والشدائد

الفتن والشدائد مواسم ابتلاء يقدّرها الله لعباده، وهي في حقيقتها من أعظم الأوقات التي ينبغي للمؤمن أن يزداد فيها قربًا من ربه، بالدعاء والرجوع إليه، والتضرع بين يديه.

لكنها عند كثير من الناس تصير مواسم غفلة واضطراب؛ فينهمكون في الجدل واللغط، أو يلتجئون إلى البشر ويغفلون عن رب البشر، أو يركنون إلى الدنيا ويتركون ما ينجيهم منها.

فعن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»(١)

والهرج: الفتن واختلاط الأمور وكثرة القتل.

وهذا الحديث يدل على أن التمسك بالعبادة زمن الفتن يعدل الهجرة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الفضل، لما فيه من الثبات والتمسك بالحق وقت غفلة الناس.

وعن خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ رِدَاءً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو لَنَا؟.

فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ... مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ... وَاللهِ

(١) رواه مسلم (٢٩٤٨).

لَيَتَمَنَّى اللهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنْكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»(١)

هذا الحديث يبين أن الشدائد سنة ماضية، وأن الصبر فيها سبيل النصر، فلا مجال للجزع والغفلة.

ومع هذه التوجيهات النبوية، ترى كثيرًا من الناس في أوقات الفتن ينسون ذكر الله، ويغرقون في متابعة الأخبار والشائعات، أو يلهون في الجدل العقيم، أو يتنازعون فيما لا ينفع، بينما يغفلون عن الدعاء والقيام واللجوء إلى الله.

فتصير الفتنة سببًا لزيادة الغفلة بدل أن تكون بابًا للإنابة.

إن الفتن والشدائد هي اختبار للإيمان، وتمييز للصفوف، والموفق من لزم العبادة، وأكثر من الدعاء، وثبت على السنة، والغافل من ضاع وقته في النزاع والاضطراب.

قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

الفصل الثاني عشر: بعد دفن الميت

الموت واعظ بليغ، ومشهد القبر يذكّر بالآخرة، لكن الغفلة سرعان ما تسيطر على الناس بعد دفن الميت، فتجد كثيرًا منهم ينشغلون بالحديث والدنيا، بينما الميت أحوج ما يكون إلى دعاء إخوانه له بالرحمة والمغفرة

(١) رواه البخاري (٦٩٤٣).

والثبات.

فعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

«كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُّوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»(١)

فالمشهد موطن عظة وباب عبادة: دعاء للميت، وتذكر للدار الآخرة، وزجر للنفس عن الغفلة.

لكن كثيرًا من الناس يقفون على القبور وهم لاهون، أو ينصرفون مسرعين دون دعاء، أو يشتغلون بالأحاديث الجانبية.

فالموفق من ملأ هذا الموقف بالدعاء والاستغفار، والغافل من ضيّع الفرصة وانصرف.

الفصل الثالث عشر: عند رؤية الهلال

رؤية الهلال آية من آيات الله، بها تُعرف بدايات الشهور، ويتحدد بها الصيام والفطر والمواسم العبادية، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يستقبلها بالدعاء لا باللغو ولا باللهو.

فعن طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان إذا رأى الهلال قال:

«اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ»

فهذا دعاء جامع، يجمع بين طلب الخير في الدين والدنيا، والسلامة في

(١) رواه أبو داود (٣٢٢١)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٧٥٨).

الأبدان والأديان فالموفق من اغتنم رؤية الهلال بذكر الله، والغافل من ضيّع اللحظة بين لغو وانشغال.

الفصل الرابع عشر: وقت الشدائد والمرض

الشدائد والمرض أوقات ابتلاء، يرفع الله بها الدرجات، ويكفّر بها السيئات، وهي فرصة عظيمة للعبد ليتقرب إلى الله بالصبر والدعاء والاحتساب، لكن كثيرًا من الناس يغفلون عنها، فلا يجنون منها إلا الجزع والتسخّط.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللهُ بِهِ مِنْ خَطَايَاهُ كَمَا تَحِطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»(١)

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«إِنَّ عُظْمَ الْجَزَاءِ مَعَ عُظْمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»(٢)

فالمحنة في حقيقتها منحة، إذا صبر العبد ورضي بقدر الله، لكن الغافل يضيع الأجر بالجزع والاعتراض، بل ربما لسانه لا يزال بالشكوى إلى الخلق دون خالقه.

أما الموفَّق فيجعل المرض والشدائد مواسم طاعة وصبر ودعاء،

---

(١) رواه البخاري (٥٦٤٨) ومسلم (٢٥٧١).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٦) وصححه الألباني في «جامع الترمذي» (٢٣٩٥).

فيخرج منها بذنوب مغفورة ودرجات مرفوعة.

الفصل الخامس عشر: عند الكسوف والخسوف

الكسوف والخسوف من آيات الله العظام، يذكّر بهما عباده، ليخافوا ويرجعوا إليه بالدعاء والصلاة، لكن الناس اليوم جعلوها مواسم تصوير وتفرج، وغفلوا عن العبرة والموعظة.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:

«خُسِفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَفَّ النَّاسُ وَرَاءَهُ، فَكَبَّرَ فَاقْتَرَأَ قِرَاءَةً طَوِيلَةً، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ...» الحديث.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لَا يُخْسَفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللهَ، وَكَبِّرُوا، وَصَلُّوا، وَتَصَدَّقُوا»(١)

فالكسوف موطن عبادة: صلاة ودعاء وتكبير وصدقة، لكنه صار عند أكثر الناس زمن غفلة، إذ ينشغلون بمراقبة المشهد والتعليق والتصوير، بينما يغفلون عن اللجوء إلى الله الذي يرسل هذه الآيات تخويفًا لعباده.

(١) رواه البخاري (١٠٤٤) ومسلم (٩٠١).

الفصل السادس عشر: عند سماع صياح الديك ونهيق الحمار

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيكَةِ فَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»(١)

فهذا الحديث يفتح بابًا عظيمًا من الذكر في وقت يغفل عنه الناس تمامًا؛ إذ أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالسؤال عند صياح الديك، والتعوذ عند نهيق الحمار، لأن هذه الأصوات مرتبطة بعالم الغيب.

لكن أكثر الناس اليوم لا يتجاوز سماعهم لها الاستهزاء أو التعليق، وربما الانزعاج.

بينما الموفَّق يستجيب للوصية النبوية، فيجعلها لحظة ذكر ودعاء.

الفصل السابع عشر: عند سماع الأذان

الأذان شعار الإسلام، ونداء التوحيد، يعلو في اليوم والليلة خمس مرات، وهو موطن عبادة يغفل عنه أكثر الناس، إذ يسمعونه ولا يجيبون، أو ينشغلون عنه بالحديث والأعمال.

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى

(١) رواه البخاري (٣٣٠٣) ومسلم (٢٧٢٩).

عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حُلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»(١)

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْنِدَاءَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ هذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ» حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢)

فهذه النصوص تبين أن من أعظم فضائل سماع الأذان: نيل شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة، لكن بشرط أن يغتنم العبد اللحظة فيردّد مع المؤذن، ويصلي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ويدعو بالدعاء المأثور.

غير أن الغفلة قد غلبت على كثير من الناس، فترى أحدهم يسمع الأذان ولا يحرّك لسانه، أو ينشغل بالهاتف والحديث، أو يكتفي بالاستماع دون ترديد، فتمر عليه هذه اللحظة العظيمة دون ذكر ولا دعاء. أما الموفَّق فهو الذي يستجيب لله ورسوله، ويغتنم الأذان بذكر الله والصلاة على نبيه، فينال الأجر العظيم والشفاعة يوم الدين.

(١) رواه مسلم (٣٨٤).
(٢) رواه البخاري (٦١٤).

الباب السابع:

صور عملية للعبادة في زمن الغفلة

بعد أن تبين لنا عظيمُ فضل العبادة زمن الغفلة، وأشرنا إلى ما في اليوم والليلة، وما في الأسبوع والشهر والعام من مواطن يغفل الناس عنها، كان من الحسن أن نُترجم المعاني إلى واقع، وأن نُحوّل العلم إلى عمل.

فإن العاقل لا يكتفي بمعرفة الطريق، حتى يسلكه، ولا يرضى بأن يسمع بموارد الخير ثم يُعرض عنها.

ومن هنا يجيء هذا الباب ليعرض صورًا عملية من العبادات، يستعين بها المؤمن على اغتنام تلك اللحظات النفيسة، ويجعلها زادًا ليقظته، وسُلّمًا يرقى به في مدارج القرب من ربه.

فهي إشارات عملية، ومفاتيح خير، تُعين السالك على عمارة وقته، وتذكّره بأن أنفاسه مراحل تقرّبه أو تبعده، وأن العمر ظلّ قصير لا يُحسن بالمرء أن يضيّعه في غفلة وسهو.

الفصل الأول: ذكر الله عز وجل

الذكر من أسهل العبادات وأعظمها أجرًا، وهو أوفق ما يُغتنم به زمن الغفلة، إذ لا يحتاج إلى طهارة ولا هيئة مخصوصة، بل يجري على اللسان في كل حين.

قال الله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾

[البقرة:١٥٢].

ففي الذكر حياة للقلوب، وبه يحفظ العبد من الغفلة.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ».

قَالُوا: وَمَا الْمُفْرِدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»(١).

فالذاكرون يغتنمون مواطن الغفلة التي ينصرف عنها الناس.

الفصل الثاني: قراءة القرآن

القرآن هو روح القلوب ونور الأبصار، ومن وُفِّق لقراءته زمن الغفلة كان له من الأجر أضعافًا مضاعفة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة فاطر:٢٩].

تلاوة القرآن تجارة رابحة، خصوصًا عند غفلة الناس.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»(٢).

فالانشغال بالقرآن زمن الغفلة من أعظم ما يُتقرب به إلى الله.

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٧٦).

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٩١٠)، وصححه الألباني في «جامع الترمذي» (٢٩٠٨).

الفصل الثالث: الدعاء والاستغفار

الدعاء سلاح المؤمن، والاستغفار سبب للرزق والفرج، وأعظم وقته حين يغفل الناس.

قال الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة نوح: ١٠-١٢].

فالاستغفار زمن الغفلة يفتح أبواب الرزق والرحمة.

وهو في أوقات الغفلة باب عظيم للفرج والرزق.

الفصل الرابع: الصلاة النافلة

النوافل سياج للفرائض، ومحبوبة عند الله، ومن أقامها في زمن الغفلة كان من أولياء الله.

قال الله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩].

فالسجود زمن الغفلة من أعظم القربات.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ اللهَ قَالَ: مَن عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ...»[1].

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٠٢).

فمن عمر النوافل زمن الغفلة كان من أولياء الله المحبوبين.

الفصل الخامس: الصدقة وبذل المعروف

الصدقة في حال غفلة الناس أعظم أجرًا، لأنها تدل على صدق الإخلاص.

قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ٢٧١].

فإخفاء الصدقة زمن الغفلة أعظم ثوابًا.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال في السبعة الذين يظلهم الله:

«... وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»

فالصدقة في مواطن الغفلة علامة إخلاص وصفاء.

الفصل السادس: طلب العلم وتعليمه زمن الغفلة

من أجلّ صور العبادة في زمن الغفلة: الاشتغال بطلب العلم الشرعي وتعليمه، فإن العلم نور يرفع الله به أقوامًا، ويجعلهم هداة مهتدين، وطلبه في أوقات انشغال الناس بالدنيا أعظم ثوابًا، لأنه عبادة قلبية وعملية في آن واحد.

قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [سورة الزمر: ٩].

فالمؤمن إذا جلس يتعلّم أو يعلّم كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في وقت غفلة الناس، فقد ميّزه الله برتبة لا ينالها غيره.

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»(١)

فهذا الحديث يدل على أن طالب العلم في عبادة دائمة، وخطاه في طلبه خطوات إلى الجنة.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(٢)

وهذا يدل على فضل نشر العلم ولو كان قليلًا، فكيف بمن صبر على التعليم زمن الغفلة والانشغال؟

لكن كثيرًا من الناس في هذه الأزمان إذا انشغلوا بالدنيا والتجارة واللهو، تركوا مجالس العلم، وزهدوا في حلقات القرآن والحديث، حتى صارت المساجد خاوية إلا من قلة صابرة.

فالموفَّق من عمّر زمن الغفلة بالعلم، والغافل من صرف وقته في الدنيا وترك ما ينفعه عند الله.

فالاشتغال بالعلم في مواطن الغفلة عبادة عظيمة، بها يحيا القلب،

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) رواه البخاري (٣٤٦١).

ويُحفظ الدين، وتُرفع الدرجات.

الباب الثامن:

ثمرات العبادة زمن الغفلة

إنَّ للعبادة في أزمنة الغفلة لذّةً خفية، وأثرًا باطنًا لا يذوقه إلا من أخلص فيها، وصدق مع ربّه.

فهي عبادة تصدر في وقتٍ تباعد فيه الناس، وتكاسل الأكثرون، فيكون لصاحبها نصيب من الخلوة مع الله، والاختصاص بالقرب منه.

وما أعظم أن ينفرد العبد بربه حين ينام الغافلون، أو ينشغل اللاهون، فيجد في قلبه نورًا، وفي صدره أنسًا، وفي روحه سكينة لا تُقاس بمتاع الدنيا.

إنها عبادة تثمر يقينًا، وتورث صفاءً، وتغرس في النفس ثباتًا لا تهزّه الفتن، ولا تزعزعه الشدائد.

فمن ذاق حلاوة الطاعة زمن الغفلة لم يعد قلبه يطيق العودة إلى وحشة البعد، ولا إلى مرارة السهو.

إنها الثمرة العظمى: حياة القلب، واستقامة الجوارح، ورجاءٌ يفتح للعبد أبواب الأمل بلقاء الله ورضوانه.

الفصل الأول: دليل الإخلاص وصدق التوجه

من أبرز ثمرات العبادة في الغفلة أنها علامة على صدق العبد في توجهه إلى الله، لأنه عبد الله حين أعرض عنه أكثر الناس.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

فالإخلاص يظهر جليًّا في مواطن الغفلة.

وعن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»(١).

فشُبّهت العبادة زمن الغفلة بالهجرة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لعظم إخلاصها.

الفصل الثاني: رفعة الدرجات وكثرة الحسنات

العبادة في أوقات الغفلة تضاعف الحسنات وترفع الدرجات، لأن فيها مشقة ومخالفة للنفس.

قال الله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [النور:٣٨].

فالفضل الزائد لمن عمر الأوقات التي يغفل عنها الناس.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ... وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(٢).

فالخلوة مظنة الغفلة، وذكر الله فيها سبب رفعة ونجاة.

الفصل الثالث: حفظ العبد في مواطن الغفلة الأخرى

من حافظ على العبادة زمن الغفلة حفظه الله في مواطن الفتن والشدائد.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٤٨).

(٢) رواه البخاري رقم (٦٦٠) ومسلم رقم (١٠٣١).

﴿يَحۡزَنُونَ ١٣﴾ [سورة الأحقاف:١٣].

فالاستقامة تشمل اغتنام مواطن الغفلة.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنت خلف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال:

«احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ»(١).

فمن اغتنم هذه الأوقات، حفظه الله في سائر شؤونه.

الفصل الرابع: الأنس بالله وذوق حلاوة الإيمان

العبادة زمن الغفلة تثمر أنسًا بالله، ولذة قلبية لا يعرفها إلا من ذاقها.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [سورة الرعد:٢٨].

فالأنس والطمأنينة ثمرة الذكر زمن الغفلة.

وعن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»(٢).

فالرضا والسكينة ثمرة يغنمها العابد حين يذكر الله في وقت يلهو فيه الناس.

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٥١٦)، وصححه الألباني في «جامع الترمذي» (٢٦٢١).
(٢) رواه مسلم رقم (٣٤).

ومن ثمرات العبادة أيضا زمن الغفلة أنها تمنح العبد طمأنينة في قلبه وثباتًا على الحق، إذ القلوب عند الفتن مضطربة، والنفوس عند الغفلة ضعيفة، ولا يثبّت العبد إلا إقباله على ربه.

فمن لازم العبادة في تلك الأوقات، حُفظ قلبه من التشتت، ونال سكينة تنزل عليه من عند الله.

الفصل الخامس: النجاة يوم القيامة

من ثمرات العبادة في الغفلة أن تكون سببًا للنجاة والظل يوم القيامة، حين يفزع الناس.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة الشعراء:٨٨-٨٩].

والقلب السليم يصفو بالذكر زمن الغفلة.

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«اِسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»(١).

فالعبادة في الغفلة من أسباب النجاة وعلو المنزلة عند الله.

الفصل السادس: الإيمان بالقضاء والقدر

من أعظم ثمرات العبادة زمن الغفلة أنها تُربي في القلب الإيمان بالقضاء

(١) رواه ابن ماجه رقم (٢٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٢٤).

والقدر، فالعبد حين يعبد الله في الفتن والشدائد أو في أوقات الانشغال، يوقن أن كل ما يجري من خير أو شر إنما هو بقضاء الله وقدره، فيرضى ويسلّم، ولا يتسخّط ولا يجزع.

قال الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٣﴾ [سورة الأحقاف: ٢٢-٢٣].

فالإيمان بالقدر يورث الطمأنينة والسكينة في القلب، فلا يضطرب مع المصائب، ولا يغتر مع النعم.

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنت خلف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يومًا فقال:

«يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يُنْفِعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كُتِبَ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كُتِبَ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»(١)

فهذا الحديث أصل في باب القضاء والقدر، وهو يزرع في القلب يقينًا عظيمًا، ويبعث على التوكل والثبات زمن الغفلة والفتن.

فالعبادة في مواطن الغفلة مع استحضار القدر تثمر صبرًا ورضًا ويقينًا،

(١) رواه الترمذي رقم (٢٥١٦)

وتجعل العبد راضيًا بالله ربًا، مسلمًا لأمره، مطمئنًّا بقدره، لا تزلزله الخطوب ولا تصرفه الأحداث عن طاعة ربه.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات.

وبعد رحلة علمية في هذا البحث، تبيّن لنا أن للعبادة أوقاتًا يغفل عنها أكثر الناس، وأن من اغتنمها فهو من الموفقين المرحومين، اختصهم الله بالقرب منه والأنس بجواره.

ولست أزعم أني قد استوعبت جميع دقائق هذا الباب؛ فإن مظانّ الغفلة كثيرة، وصور العبادة فيها أكثر، وإنما سعيت إلى جمع ما تيسّر من الخواطر والتنبيهات، رجاء أن يكون فيها فتح لباب خير، وتذكيرٌ لقارئ متأمل، ودلالة لطالب فضل.

وإنما قصدت أن أجمع ما خطر في البال، وأشير إلى أهم المواطن التي يغفل الناس عنها، عسى الله أن ينتفع بها قارئًا، أو يفتح له بابًا من الخير فيغتنم ما فات.

وقد اجتهدت أن تكون العبارات قريبة، والأسلوب مباشر، ولم أنقل من كتب التفاسير والشروح وعن أهل العلم حتى لا يمل القارئ العامي، بل يجد فيه زادًا عمليًّا يعينه على ذكر الله، ويحببه في الاغتنام.

وإن كان في هذا البحث من صواب فمن فضل الله وتوفيقه، وإن كان من خطأ أو تقصير فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله منه وأتوب إليه.

وختامًا:

أوصي نفسي وإخواني أن نحرص على العبادة في هذه المواطن، فإنها من علامات التوفيق، ودليل الإخلاص، وأقرب السبل إلى محبة الله ورضوانه. فلنغتنم أنفاسنا، ولنحاسب أنفسنا قبل الفوات، عسى أن نختم أعمارنا بخير، ونلقى الله وهو راضٍ عنّا.

فالواجب على المسلم أن يستيقظ من غفلته، ويحاسب نفسه قبل فوات الأوان، وأن يفتتح عامه وشهره ويومه باليقظة والعبادة، عسى أن يلقى الله وهو عنه راضٍ.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذاكرين الشاكرين، وأن يوقظ قلوبنا من الغفلات، وأن يرزقنا الاستقامة والثبات، وأن يختم لنا بالحسنى، ويجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، نافعًا لقارئه، شافعًا لكاتبه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكانت المراجعة الأخيرة له في الحادي والعشرين من ربيع أول لعام سبعة وأربعين وأربعمائة وألف من هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

المحتويات

المقدمة ٤
تمهيد في تعريف الغفلة وخطورتها وأهمية اليقظة ١٠
أولًا: تعريف الغفلة ١٠
ثانيًا: حقيقة الغفلة ١٠
ثالثًا: صور الغفلة ١٠
رابعًا: خطورة الغفلة ١١
خامسًا: علاج الغفلة ١١
فائدة في الفرق بين السهو والغفلة والنسيان ١١
أهمية اليقظة ١٣
أولًا: معنى اليقظة ١٣
ثانيًا: فضل اليقظة ١٣
ثالثًا: نصوص في فضل اليقظة ١٣
رابعًا: ثمار اليقظة ١٤
الباب الأول: ١٥
بعض النصوص الواردة في الغفلة من القرآن واليقظة منها ١٥

الباب الثاني: ٢٤
بعض النصوص الواردة في الغفلة واليقظة منها ٢٤
الغفلة سبب لحرمان الدعاء..... ٢٤
الغفلة تحجب عن الرحمة..... ٢٥
الغفلة موت والذكر حياة..... ٢٦
الغفلة عن القرآن سبب للكتابة في ديوان الغافلين..... ٢٦
الغفلة تجعل المجالس حسرة ٢٦
الغفلة تترك المقعد وبالًا على صاحبه..... ٢٧
الغفلة من آثار اللهو والاشتغال بالدنيا ٢٨
الغفلة عن الصلاة علامة النفاق..... ٢٨
الغفلة عن الجمعة سبب لطمس القلوب..... ٢٩
الغفلة عن الذكر مطمع للشيطان..... ٢٩
الغفلة عن التسمية تفتح باب الشيطان..... ٣٠
الغفلة عن الأوراد سبب للحرمان..... ٣٠
الغفلة عند سكرة الموت والآخرة أعظم الغفلات..... ٣١
النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قدوة في اليقظة..... ٣١

الغفلة سبب للغبن في العمر ٣٢
الغفلة تورث الركون إلى الدنيا ٣٢
الغفلة تضيع فرص العمر ٣٣
الغفلة تلهي حتى يفجأ البلاء ٣٣
الغفلة في الخلوة تذهب بالأعمال ٣٤
الباب الثالث: ٣٥
بيان فضل العبادة زمن الغفلة ٣٥
الباب الرابع: ٤١
أوقات الغفلة في اليوم والليلة ٤١
الفصل الأول: جوف الليل ونصفه وثلثه (وقت السحر) ٤٣
الفصل الثاني: وقت الفجر وصلاة الصبح ٤٦
الفصل الثالث: وقت السفر في الليل ٤٧
الفصل الرابع: أوقات الطعام ٤٨
الفوائد التربوية للأربعة الفصول ٤٨
الفصل الخامس: عند دخول الأسواق ٤٩
الفصل السادس: أوقات الخلوة والانفراد ٥٠

الخاتمة لهذا الباب ٥١
الفصل السابع: بعد صلاة الفجر حتى طلوع الشمس..... ٥١
الفصل الرابع: وقت الضحى ٥٣
الفصل الخامس: بعد الظهر ٥٥
الفصل السادس: وقت العصر: ٥٦
الفصل السابع: ما بين العصر والمغرب..... ٥٨
الفصل الثامن: قبيل غروب الشمس ٥٩
الفصل التاسع: ما بعد المغرب ٦٠
الفصل العاشر: ما بين الأذان والإقامة ٦١
الفصل الحادي عشر: وقت النوم..... ٦٢
الفصل الثاني عشر: ما بعد الصلوات..... ٦٣
الفصل الثالث عشر: عند دخول المنزل والخروج منه..... ٦٤
الفصل الرابع عشر: عند دخول السوق..... ٦٦
الفصل الخامس عشر: عند العطاس والتثاؤب ٦٦
الفصل السادس عشر: عند ركوب الدابة أو السيارة ٦٧
الفصل السابع عشر: عند لبس الثوب الجديد..... ٦٨

الفصل الثامن عشر: عند رؤية المبتلى وتجدد النعمة ٦٩
الفصل السادس والعشرون: عند الغضب والانفعال..... ٧٠
الباب الخامس:..... ٧٢
أوقات الغفلة في الأسبوع والشهر ٧٢
الفصل الأول: الجلوس في المسجد يوم الجمعة من الساعة الأولى.٧٣
الفصل الثاني: ساعة الإجابة يوم الجمعة..... ٧٦
الخلاصة: ٧٨
الفصل الثالث: صيام الاثنين والخميس..... ٧٩
الفصل الرابع: الأيام البيض من كل شهر ٨٠
ما هي الأيام البيض؟..... ٨١
الفصل الخامس: صيام شعبان ٨٢
الفصل السادس: العشر الأوائل من ذي الحجة..... ٨٤
الفصل السابع: الأشهر الحرم..... ٨٦
فما هي الأشهر الحرم؟ ٨٦
الفوائد التربوية لهذا الباب ٨٨
الباب السادس:..... ٨٩

أوقات الغفلة في العام كله ٨٩
الفصل الأول: العشر الأواخر من رمضان..... ٨٩
حال الناس اليوم..... ٩٣
الفصل الثاني: ليلة القدر في أيام العشر..... ٩٤
حال الناس اليوم مؤلم!..... ٩٦
الفصل الثالث: قبل الإفطار في رمضان..... ٩٩
حال الناس اليوم:..... ١٠٠
الفصل الرابع: ستة أيام من شوال..... ١٠١
الفصل الخامس: يوم عرفة لغير الحاج..... ١٠٣
الفصل السادس: أيام التشريق..... ١٠٥
الفصل السابع: يوم عاشوراء..... ١٠٦
الفصل الثامن: المحرم أول العام الهجري..... ١٠٨
الفصل التاسع: مواسم المطر..... ١١٠
الفصل العاشر: أوقات الرياح..... ١١٢
الفصل الحادي عشر: أوقات الفتن والشدائد..... ١١٣
الفصل الثاني عشر: بعد دفن الميت..... ١١٤

الفصل الثالث عشر: عند رؤية الهلال ١١٥
الفصل الرابع عشر: وقت الشدائد والمرض..... ١١٦
الفصل الخامس عشر: عند الكسوف والخسوف ١١٧
الفصل السادس عشر: عند سماع صياح الديك ونهيق الحمار ... ١١٨
الفصل السابع عشر: عند سماع الأذان ١١٨
الباب السابع: ١٢٠
صور عملية للعبادة في زمن الغفلة ١٢٠
الفصل الأول: ذكر الله عز وجل..... ١٢٠
الفصل الثاني: قراءة القرآن ١٢١
الفصل الثالث: الدعاء والاستغفار ١٢٢
الفصل الرابع: الصلاة النافلة..... ١٢٢
الفصل الخامس: الصدقة وبذل المعروف..... ١٢٣
الفصل السادس: طلب العلم وتعليمه زمن الغفلة ١٢٣
الباب الثامن: ١٢٦
ثمرات العبادة زمن الغفلة..... ١٢٦
الفصل الأول: دليل الإخلاص وصدق التوجه ١٢٦

الفصل الثاني: رفعة الدرجات وكثرة الحسنات.....١٢٧
الفصل الثالث: حفظ العبد في مواطن الغفلة الأخرى.....١٢٧
الفصل الرابع: الأنس بالله وذوق حلاوة الإيمان ١٢٨
الفصل الخامس: النجاة يوم القيامة.....١٢٩
الفصل السادس: الإيمان بالقضاء والقدر.....١٢٩
الخاتمة ١٣٢
وختامًا: ١٣٢
المحتويات.....١٣٤
تلخيص الفوائد ١٤٢

تلخيص الفوائد

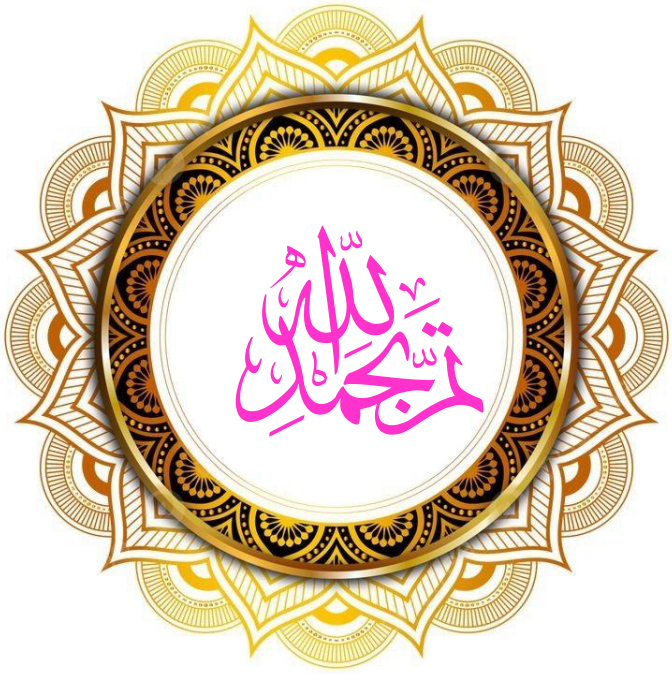
تم بحمد الله

صدر حديثًا للمؤلف

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف فندق الريان
+٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ - +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢
عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف محطة النهدي
+٩٦٧٧٧٠٠١٢٥٢٢
حضرموت الحامي - جوار مسجد أنور - الشارع الشرقي من النادي
+٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣ - +٩٦٧ ٠٥٣٤١٥٩٨
حضرموت سيئون شحوح - مقابل مسجد ابراهيم - ومدرسة شحوح للبنين
+٩٦٧٧٨٣٢٤٦٥١٣
alshafibooks@gmail.com